مِيثَاقُ الثَّبَاتِ

ودليلُ النجاة للشَّباب والشَّابات في زمن الشُّبهاتِ والشَّهوات

جواب على سؤال اشتمل على جمع لخمسة وعشرين خندقا من خنادق المكر بالمسلمين وخمسة عشر مفتاحا من مفاتيح التعامل مع فتن الجوال وثلاثين سببا من أسباب الثبات على الحق

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع الوزني الحوباني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

مِيثَاقُ الثَّبَاتِ

وَدَلِيلُ النَّجَاةِ

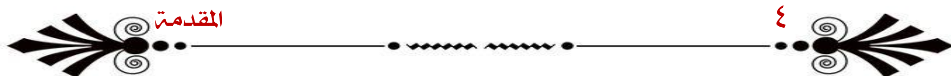
لِلشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ فِي زَمَنِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ

جواب على سؤالٍ اشتمل على جمع لخمسة وعشرين خندقا من خنادق المكر
بالمسلمين وخمسة عشر مفتاحا من مفاتيح التعامل مع فتن الجوال
وثلاثين سببا من أسباب الثبات على الحق

تأليف
أَبِي الْمُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْحُوبَانِي
غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

الطبعة الأولى: ١٤٤٧ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



المقدمة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي يُثبّت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الظالمين ويفعل الله ما يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام الثابتين، وقدوة الصادقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، الذين قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

أما بعد:

فقد جاءني سؤال رقّت له القلوب، وهزّت عباراته الضمير، كتبه أحد الشباب وهو يستغيث بالنصيحة، ويستنجد بدعوة صالحة في زمن الموج المتلاطم من الفتن.

فقال: يا شيخ، أريد نصيحة حول الثبات على دين الله وعلى طاعته، لا سيما ونحن في زمن الفتن المضلة، وأرجو فضلًا لا أمرًا أن تدعو لي بالثبات، وجزاك الله عنا وعن أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خيرًا، فوالله إن كلامك يؤثر فيني.

فلما قرأتُه، علمت أنّه ليس سؤالًا عابرًا، بل صرخة قلب يبحث عن سفينة النجاة، ونداء نفسٍ تخشى على إيمانها من الرياح العاتية، وما أكثرها اليوم! فبادرت بالإجابة في رسالة مستقلة، أودعت فيها بعض الوصايا، وذكرت الأدلة، رجاء أن يكون فيها ما يسند السائل ويقوّي عزيمته.

غير أني بعد ذلك رأيت أن الأمر أكبر من جواب فردي، وأوسع من رسالة عابرة، وجواب مستقل.

فإن الفتن اليوم قد أطلت بقرونها، وتزيّنت بألوانها، وتدخل على الناس في بيوتهم وجيوبهم، عبر الشاشات والجوالات، وصار الشباب والفتيات يواجهون كل يوم ما لم يواجهه من قبلهم من قبل أعداء الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النساء:٢٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ أَيْ يُرِيدُ أَتْبَاعُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْيَهُودِ والنصارى والزناة أن تميلوا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ مَيْلًا عَظِيمًا. اهـ(١)

ولقد رأيت أن الموضوع يستحق أن يُفرد برسالة خاصة، بل أن يُنسج على هيئة ميثاق ودليل، يذكّر الغافلين، ويثبّت السائرين، ويحذّر المترددين، ويُعلّم الجاهلين.

فكان هذا الكتاب الذي بين يديك، والذي اخترت له عنوانًا جامعًا أسميته:

«ميثاق الثبات ودليل النجاة للشباب والشابات في زمن الشبهات والشهوات»

كاستجابة لحاجة ملحّة، ومساهمة في معركة الوعي، وتذكير بأن الثبات عطية من الله لا تُنال إلا بأسبابها، ومنة لا تدرك إلا بصدق اللجأ إليه سبحانه. قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»(٢)

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير – ط العلمية» (٢/ ٢٣٤).

(٢) رواه أبو داود عن المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وانظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٦٦٦).

ما أحوجنا اليوم إلى أن نكتب في الثبات! فإن القلوب تتعرض للفتن كما يتعرض الحديد للصدأ، ولا ينجو إلا من اعتصم بالله.

وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»(١)

وإني ما قصدت بهذه الأوراق إلا النصيحة لي أولا ثم من أراد الخير من المسلمين، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [سورة هود:٨٨]، وما رجوت منها إلا أن تكون ذخرًا لي يوم ألقى ربي، وأن يُخرج الله بها من شاء من عباده من ظلمات الفتن إلى نور اليقين.

وقد جمعت فيها ثلاثين سببًا من أسباب الثبات ولا أزعم أني أتيت بجديد لم يُسبق إليه، فقد كتب العلماء وطلاب العلم وغيرهم من قبل في أبواب الثبات كتبًا عظيمة ومتنوعة ما بين مطول ومختصر، ولكن كما أسلفت سابقا أنه كان عبارة عن جواب على سؤال رأيت أني أتوسع في الجواب عليه لعامة الناس ولا يكون مقتصرا على إجابة فردية مختصرة ورجوت أن تكون عامة تفيد السائل وغيره: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٨﴾ [سورة آل عمران:٨].

وهذا الميثاق – «**ميثاق الثبات ودليل النجاة...**» – ما هو إلا جسر عبور، ومصباح على الطريق، أضعه بين أيدي الشباب والشابات.

لعل الله أن يجعله سببًا لتثبيتهم في زمن تزيين الباطل وتخذيل الحق، وما النصر إلا من عند الله، وما الثبات إلا بتوفيقه.

أسأل الله أن يبارك في هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، وأن ينفع به

---

(١) رواه مسلم عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كل قارئ، وأن يكون شـاهدًا لي لا عليّ، وحجة لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كتبه

أبـو المنـذر

عـــمــــــــــار

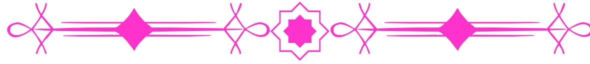
ابن عبـــد الجلـيــــــل

هــــــــزاع الحــــوبـــــــــاني

سيئـون – حـضـــرمـــوت–شــحـــوح

انتهى يـوم الاثنين/ ٢ ربيع أول/ ١٤٤٧ هـجـرية

تمهيد في بيان: خطورة الفتن والتحذير من الوقوع فيها



كان الدافع لتأليف هذا الكتاب كما تقدم سؤال صادق نبع من قلب أحد الشباب، عبّر فيه عن حال كثير من أقرانه فقال: يا شيخ، أريد نصيحة حول الثبات على دين الله وعلى طاعته، لا سيما ونحن في زمن الفتن المضلّة، وأرجو فضلًا لا أمرًا أن تدعو لي بالثبات، وجزاك الله عنا وعن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خيرًا، فوالله إن كلامك يؤثر فيني.

وهذا السؤال في ظاهره طلب موعظة، لكنه في حقيقته صرخة من قلب امتلأ خوفًا من الانزلاق، وإحساسًا بثقل ما يعيشه جيل الشباب اليوم من تقلبات شبهات وشهوات، لا تكاد تدع قلبًا إلا وتهزه، ولا عقلًا إلا وتختبر صموده. وهو اعتراف بأن النجاة في زمن الفتن لا تكون إلا بالاعتصام بالله، ثم بالتمسك بأسباب الثبات.

وقد حذّر الله سبحانه من الفتن في كتابه فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٢٥].

أي أن الفتنة إذا نزلت عمت، فلم يسلم منها حتى من لم يشارك في أسبابها. وقال عز وجل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة:١٩١]، إشارة إلى أن الانحراف عن الدين أعظم على العبد من فقد حياته نفسها، لأن القتل ينهي الجسد، أما الفتنة فتهلك الدين والدنيا والآخرة. وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة الأنفال:٢٨]

فحتى أعز ما يملك الإنسان قد يكون سبب انحرافه إن شغله عن طاعة الله.

كما قال جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [سورة النور:٢١].

فخطوات الشيطان أول أبواب الفتنة، تبدأ صغيرة وتنتهي بالهلاك.

وقال: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ [سورة النور:٦٣].

فمخالفة أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ باب من أبواب الفتن.

بل أخبر سبحانه أن الفتنة سنة ماضية في حياة العباد فقال: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ [سورة العنكبوت:١-٢].

وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [سورة الفرقان:٢٠].

بل وصف حال الضعفاء عند الابتلاء فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت:١٠].

ومن السنة النبوية جاءت النصوص مؤكدة هذا المعنى، فقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١)

وهذا تصوير بليغ لشدة الفتن وسرعة تقلّب القلوب فيها.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي...»(٢)، فبيّن أن النجاة في البعد

---

(١) رواه مسلم (١١٨).

(٢) متفق عليه البخاري (٣٦٠١)، مسلم (٢٨٨٦)

عنها لا في الخوض فيها.

وكان حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»(١)، مما يدل على فقه الصحابة في سؤالهم عن الفتن للاستعداد لها. كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(٢)، فأرشد إلى الدعاء لأنه أعظم وقاية. وحذّر من فتنة النساء فقال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٣)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»(٤)

وفي حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»(٥)

بل قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أعظم فتنة: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٦)

فهذه النصوص كلها تجمع على أن الفتن حقائق لا محالة، وأنها تتنوع بين الشهوات والشبهات، والنساء والأموال، والدنيا وزينتها، والباطل وزخرفه، وأنها إن أقبلت أذهلت

---

(١) البخاري (٣٦٠٦)، مسلم (١٨٤٧)

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧)

(٣) متفق عليه البخاري (٥٠٩٦)، مسلم (٢٧٤٠).

(٤) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٦٣) وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (٢٩٤٦).

العقول وامتحنت القلوب. فلا ينجو منها إلا من اعتصـم بالله، وثبت على طاعته، وتمسـك بكتاب ربه وســنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ. ومن أجل ذلك كان هذا الكتاب: «**ميثاق الثبات ودليل النجاة للشباب والشابات في زمن الشبهات والشهوات**»، ليكون زادًا عمليًا يعين على كشف خنادق الأعداء، ويمدّ بالمفاتيح للتعامل مع فتن الأجهزة والجوالات، ويجمع أسبابًا كثيرة للثبات على الحق حتى يلقى العبد ربَّه ثابتًا غير مبدل.

خنادق الحرب الناعمة على أهل الإيمان



إن الفتنة اليوم ليست خبرًا عابرًا، ولا موجةً سريعة تنحسر، بل هي حرب ناعمة، منظومات خفية، تعمل بخطط محكمة ليلًا ونهارًا لإضعاف التدين، وخلخلة اليقين، وتفكيك حصون الإيمان.

ومن أبرز خنادقها:

الخندق الأول: إشغال المسلمين بالشهوات

من أخطر المكائد أن تُغرق الأمة في بحر الشهوات، حتى لا يبقى في القلب مكان للقرآن والإيمان، فيُفتح للشباب أبواب الغريزة عبر الأفلام والمواقع والإعلانات، وتُسوَّق لهم شهوات المال والجنس والجاه، حتى يُصبح أكبرَ همِّ المسلمِ إشباعُ رغباته. قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

هذه الآية تكشف أن الشهوات مطلوبة بطبيعة النفس، لكنها إن طغت وأُطلقت بغير ضابط صارت سببًا للهلاك.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(١)

الحديث يبين أن الشهوات طريق سهل لكنه يقود إلى النار، أما الجنة فلا تُنال إلا

(١) رواه مسلم (٢٨٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

بالصبر على المكاره والابتعاد عن المزالق.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر الإباحية عبر الإعلام والمنصات الرقمية.

٢- تضخيم صور الرفاهية والترف حتى يُصبح معيار النجاح.

٣- استغلال ضعف الفطرة لجعل الشهوة عادة يومية مدمِّرة.

٤- تسليط رموز الفن والموضة لتسويق الانحلال.

٥- إشغال العقول بما يُلذذ الأجساد ويُميت الأرواح.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٠-٤١].

النجاة تكون بكبح جماح النفس ومخالفة الهوى، فمن عظم مراقبة الله كفّ عن المعصية.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١)

الزواج والصيام من أعظم الوسائل العملية لحماية الشباب من الانحراف.

وسائل عملية للوقاية:

١- شغل القلب بالقرآن والذكر، فهي وقود الإيمان الذي يطفئ نار الشهوة.

٢- غض البصر، لأنه أول باب للشهوة، فإن أُغلق انكسرت بقية الأبواب.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣- ملء الفراغ بالعمل النافع، فإن النفس إن لم تُشغل بالحق شغلت بالباطل.

٤- إحاطة النفس بالصحبة الصالحة التي تعين على الطاعة.

فالذي يُغرق نفسه في الشهوات لا يلبث أن يستعبدها الهوى، أما من روّضها وملك زمامها، فقد ملك طريق الجنة.

ومن هذا الخندق أيضا إشغال الشباب بالشهوات المباحة حتى تصرفهم عن المعالي

من مكايد الشيطان وأوليائه أن يوقع المسلم في دائرة المباحات الملهية، فلا يقع في الحرام الظاهر لكنه يضيع عمره بين كرةٍ وألعابٍ ومسلسلاتٍ ورحلاتٍ لا تنتهي، حتى يسرق منه أجمل ساعاته التي كان يمكن أن تكون في طلب العلم أو الدعوة. قال الله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [سورة الحجر:٣]. الآية تبيّن أن الانغماس في اللهو واللذات وإن كانت مباحة إذا شغلت عن طاعة الله وعن الاستعداد للآخرة فهي خسران مبين، إذ يصبح القلب لاهيًا والعمر ضائعًا.

وعن أبي برزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»(١)

هذا الحديث أصل عظيم في محاسبة النفس، فالعمر رأس المال، والمباحات إذا استغرقت الأوقات حتى ضيعت الفرائض والمستحبات كانت وبالًا على صاحبها.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- تضخيم صناعة الترفيه حتى تصبح حياة المسلم دائرة حول المتعة فقط.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧) وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٢/ ٦٢٩).

٢- تيسير الوصول إلى الملهيات بأبخس الأثمان وجعلها متاحة في كل وقت.

٣- ربط الهوية الشبابية بالرياضة والفن بدلاً من العلم والعبادة.

٤- تصوير أهل الجد والعبادة بأنهم متشددون ومنغلقون.

٥- إشغال القلب بالمباحات تدريجيًا حتى يضعف نهمه إلى الطاعات.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [سورة الحديد: ٢١].

المسلم لا يقف عند حدود المباحات، بل يسابق إلى معالي الأمور، ويجعل قلبه متوجهًا إلى الجنة، لا إلى متاع قليل يزول سريعًا.

وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»(١) من أعظم الوصايا النبوية في حفظ العمر من الضياع، فالشباب والفراغ نعمتان إذا لم يُستثمرا في طاعة الله تحولا إلى حسرة يوم القيامة.

وسائل عملية للوقاية:

١- وضع برنامج يومي يوازن بين المباح والواجب، فلا يطغى الترفيه على الطاعة

٢- تعويد النفس على الأعمال الجادة: طلب العلم، الدعوة، صلة الأرحام.

٣- تربية الشباب على أن المباح وسيلة للراحة لا غاية للحياة.

---

(١) رواه الحاكم (٧٨٤٦) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣١١).

٤- اختيار الصحبة التي ترفع الهمة وتعين على الطاعة.

٥- التذكير الدائم بقصر العمر وأنه أمانة يُسأل عنها العبد.

فالمباح إذا تجاوز حدّه صار وبالًا، وإن وُضع في موضعه كان عونًا على الطاعة، والكيّس من دان نفسه واستثمر أنفاسه فيما يرضي الله.

ومن هذا الباب صناعة الشهوة بخطوات الشيطان:

فإن الشهوة من أخطر مداخله، وهي تُصنع في القلب تدريجيًا بخطوات حتى تألفها العين والأذن والجوارح.

وقد حذّر الله تعالى من ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

في هذه الآية يبيّن الله أن طريق الشهوة لا يأتي دفعة واحدة، بل بخطوات متدرجة يبدأها الشيطان بإثارة النظر والفكر حتى يصل إلى الفاحشة.

والتحذير جاء عامًا للمؤمنين حتى لا يستصغروا أول خطوة، فإنها باب لما بعدها، ولهذا كان قطع الطريق من أوله أسلم للنفس وأطهر للقلب.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وزِنَاهُمَا النَّظَرُ**»(١)

يوضح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أن للزنا مقدمات تبدأ من النظر، فجعل للعين نصيبًا من الإثم إن لم تُغضّ عن الحرام. وهذا يدل على خطورة النظرة الواحدة، فهي سهم مسموم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

يدخل إلى القلب فيورثه وحشة وضعفًا. ومن غضّ بصره لله حُفظت جوارحه، ونال لذة الإيمان التي هي أعظم من كل لذة محرمة.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ [سورة النور:٣٠].

يأمر الله المؤمنين بحماية العين والفرج معًا؛ لأن حفظ البصر هو الطريق إلى حفظ الفرج.

والغضّ لا يعني إغلاق العين بالكلية، وإنما صرفها عن الحرام.

وقد وصف الله ذلك بأنه ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، أي أطهر للقلوب وأرفع للدرجات، وفيه بشارة بأن المجاهدة في هذا الباب سبب لزيادة الإيمان والنقاء.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [سورة العنكبوت:٦٩].

بيّن الله أن مجاهدة النفس شرط للهداية، وأن من صبر على ترك الشهوة المحرمة هداه الله إلى طريق الخير.

فالهداية ليست مجرد دعاء، بل هي ثمرة صبر ومجاهدة.

وفي ختام الآية وعد عظيم، إذ جعل الله نفسه مع المحسنين، ومن كان الله معه فلن يخذله ولن يتركه لأهواء نفسه.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١)

---

(١) متفق عليه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا الحديث يرسم العلاج العملي للشهوة، فالزواج حصن حصين وغضّ للبصر، وفيه تفريغ مشروع للطاقة.

فإن عجز المرء عنه فالصوم وسيلة لتربية النفس وكسر حدة الشهوة.

وهذا يدل على رحمة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بأمته، حيث وجّه الشباب إلى وسائل نافعة تحفظ لهم دينهم وعفّتهم وتسدّ عليهم أبواب الفتنة.

وأيضا من أخطر مكايد الشيطان وأعداء الدين أنهم لا يجرّون الناس إلى المعصية أو الكفر دفعة واحدة

بل يسلكون بهم طريق التدرج؛ خطوة بعد خطوة، حتى يُنزع الإيمان من القلب شيئًا فشيئًا.

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [سورة النور: ٢١].

التعبير بـ ﴿خُطُوَٰتِ﴾ يدل على أن الشيطان يسلك بالعبد طريق الانحراف تدريجيًا، يبدأ بترك المستحبات، ثم التساهل بالمكروهات، ثم اقتراف الصغائر، حتى يصل إلى الكبائر وربما الكفر.

وقال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ. وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»(١)

هذا الحديث يبين أن صغائر الذنوب إذا اجتمعت أهلكت صاحبها، فهي الخطوات التي يتدرج بها الشيطان بالإنسان حتى يوقعه في الكبائر.

(١) رواه أحمد (٣٨٠٥) عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٤٤).

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- التزيين للذنوب الصغيرة حتى لا تُرى خطرًا.

٢- نشر فكرة «المرة لا تضر» حتى يُستدرج العبد.

٣- التدرج في كشف العورات عبر الإعلام، من خفيف إلى أفسد.

٤- التنازل خطوة بعد خطوة في المبادئ باسم «التطور».

٥- استعمال أعذار ظاهرها الرحمة وباطنها استدراج، مثل: «مجرد تسلية، مجرد تجربة».

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٣٢].

الله لم يقل «لا تزنوا»، بل قال ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾، ليقطع الطريق على التدرج الذي يفضي إلى الوقوع في الفاحشة.

وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[١]

قاعدة عظيمة في سد باب التدرج: ترك كل ما فيه شبهة أو ريبة قبل أن يتطور إلى محرم صريح.

وسائل عملية للوقاية:

١- سد الذرائع الموصلة إلى الحرام، وعدم التساهل فيها.

٢- التربية على تعظيم الصغائر كما تعظم الكبائر.

٣- المداومة على التوبة والاستغفار ولو من الذنوب الصغيرة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) عن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٢٣).

٤- مجاهدة النفس على الثبات على السنة وعدم التنازل.

٥- الحذر من العبارات المضللة مثل: «مجرد عادة، مجرد ثقافة، مجرد تجربة».

٦- فالخطر ليس في النهاية فقط، بل في الطريق إليها، ومن استهان بخطوات الشيطان وقع في حبائله.

الخندق الثاني: صناعة الشبهة

إن الشبهات من أخطر مداخل الشيطان، تدخل من أبواب التشكيك والمراء والاستهزاء، فتفسد على القلب يقينه، وتضعف إيمانه، وتصدّه عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ [سورة الحج:٨].

بيّن الله أن الجدال بغير علم ولا هدى ولا برهان سبيل الضلال، وأن الجدال العقيم يفتح باب الشبهات ويغلق باب اليقين. فمن لم يكن له نور من كتاب الله وسنة رسوله وقع في التيه، وضاع قلبه بين الأهواء والظنون.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»(١)

في هذا الحديث يحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الانشغال بالمراء والجدال والفضول، لأن ذلك باب واسع للشبهات، يورث الشكوك، ويشغل القلب عن الحق النافع.

فالعاقل يحفظ لسانه ويشتغل بما يقوي يقينه.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»(١)

هذا الحديث أصل في بيان خطر الشبهات، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقرر أن من اتقى الشبهات حفظ دينه وعرضه، وأن من وقع فيها يوشك أن يقع في الحرام الصريح، فهي سياج وقائي عظيم للأمة.

من وسائل العلاج:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»(٢)

هذا الحديث يبين أن العصمة من الضلال والشبهات إنما تكون بالاعتصام بالكتاب والسنة معًا، فلا يضل من تمسك بهما متمسكًا صادقًا.

الخلاصة:

إن أعظم أسلحة الأعداء في حرب الإيمان بثّ الشبهات التي تزعزع اليقين، وتشكك في الثوابت، وتُلبّس الحق بالباطل، حتى يضطرب القلب ويفقد الثبات.

والشبهات أخطر من الشهوات، لأنها تهدم الأساس العقدي والإيماني، وتُدخل الشك في أوضح الحقائق، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧].

يقرر الله أن النجاة من الشبهات تكون برد المتشابه إلى المحكم، والتسليم للوحي،

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١٥٩٤) والحكم عن ابن عباس وهو صحيح بمجموع شواهده وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤/ ٣٦١) و«صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٢٥).

والرجوع إلى فهم العلماء الراسخين، لا بالاعتماد على الأهواء والعقول القاصرة.

ويتبين من الآية أن اتباع المتشابه وترك المحكم من علامات الزيغ والفتنة، وهذا أصل الشبهات، إذ يتصيد أصحاب الأهواء النصوص المحتملة ويتركون الواضحة.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١)

الحديث يبين أن الجهل سبب انتشار الشبهات، وأن فقدان العلماء يفتح الباب واسعًا لأهل الأهواء والجهال لينشروا الفتن والضلال.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر حملات التشكيك في القرآن والسنة عبر الإعلام والكتب.

٢- تقديم الشبهات في صورة «أسئلة فكرية» لإثارة الاضطراب.

٣- استغلال جهل العامة بنصوص الشريعة وقواعد الفهم.

٤- الترويج لفكرة «حرية الفكر» لتكون ستارًا للانحراف.

٥- تضخيم زلات العلماء والدعاة لإسقاط الثقة بهم.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾ [سورة النحل:٤٣].

العلاج الأصيل للشبهات أن تُعرض على العلماء الراسخين، فهم الذين يردون المتشابه إلى المحكم، ويبينون الحق من الباطل.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وسائل عملية للثبات:

١- تعلّم العلم الشرعي من مصادره الأصيلة.

٢- الحذر من تتبع شبهات الملاحدة والعصرانيين.

٣- ملازمة العلماء والرجوع إليهم في المعضلات.

٤- الإكثار من الدعاء: «اللَّهُمَّ، يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

٥- جعل القرآن ميزانًا لرد كل فكرة، فما وافقه قُبل وما خالفه رُد.

٦- فالشبهات سمّ قاتل، لا ينجو منها إلا من اعتصم بالله، وتمسك بالوحي، وعرض عقيدته على العلماء الراسخين، وإلا تاه في متاهات الشكوك.

الخندق الثالث: تطبيع المنكر

إن المنكر لا يُفرض دائمًا بالقوة، وإنما يُعاد ويُكرر حتى تألفه القلوب، ويصبح في العيون أمرًا عاديًّا لا يُستنكر، وهذه أخطر مراحل الفتنة، إذ يموت فيها الحياء من الحرام، وتختفي الغيرة على الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾ [النحل: ٦٣].

يبين الله أن من مكر الشيطان أن يزيّن الباطل حتى يُرى في صورة الحق، ويجمّل القبيح حتى يبدو حسنًا.

والتزيين المتكرر يميت في القلب كراهية المعصية، فإذا مات الشعور لم يعد المنكر يُستنكر.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ

تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[(١)]

في هذا الحديث أصل عظيم: أن الحياء حاجز بين العبد والمعصية، فإذا سقط الحياء انطلق في فعل ما شاء بلا وازع. ومن أخطر صور تطبيع المنكر سقوط الحياء من القلوب حتى يرى الناس الباطل فلا يستنكرونه.

من سائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

النجاة تكون بتعظيم الحرام وتعظيم حدود الله في القلب، فمن عظّم شعائر الله حُفظ من الاستهانة بالمنكر، ومن استهان بها لم يبق له وقاية.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

القرآن والذكر هما حصن القلوب من التطبيع، فالمواظب على كتاب الله يظل قلبه حيًّا متيقظًا، لا يلين للمنكر ولا يأنس به.

وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[(٢)]

هذا الحديث يقرر أن مقاومة التطبيع لا تكون بالصمت والسكوت، بل بالإنكار حسب القدرة، وأدناه أن ينكر القلب ولا يرضى بالمنكر، وإلا مات الإيمان من جذوره.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٣) عن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخندق الرابع: سرقة الأوقات

إن أعمار المؤمنين هي رأس مالهم، فمن ضاع عمره ضاع دينه وآخرته، وليس أخطر على المسلم من أن يسرق وقته بغير أن يشعر.

وقد عرف الأعداء أن من لا وقت له لا دين له، فجعلوا من أكبر مكايدهم إشغال الناس بالملهيات والمشاغل التافهة، حتى يضيع العمر في لهوٍ وتصفحٍ ومتابعةٍ فارغة، ويُنسى مع ذلك ذكر الله والصلوات والواجبات.

إن الدقائق التي تضيع كل يوم تنسج من مجموعها عمرًا ضائعًا يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، فلا يجد في صحيفته إلا القليل من الخير، والكثير من الغفلة والبطالة.

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سورة الماعون:٤-٥].

لم يقل الله (الذين هم عن صلاتهم تاركون)، بل قال (ساهون)، أي غافلون عنها، يؤخرونها ويضيعون وقتها، وينشغلون بغيرها.

وهذه الغفلة في حقيقتها سرقة للأعمار، إذ تُنتزع من القلب هيبة الصلاة ويُستبدل بها اللهو واللعب.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»(١)

بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن أكثر الناس يخسرون في تجارتهم مع الله، لأنهم يملكون

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أعظم رأس مال: الصحة والفراغ، ثم لا يستثمرونه في طاعة الله، بل يبددونه في الملهيات. وهذا الغبن من أخطر صور ضياع العمر.

ومن صور سرقة الأوقات اليوم: الاستغراق في تصفح الهواتف بلا هدف، أو متابعة ما لا يعود على الدين والدنيا بخير، أو الاستسلام للكسل والنوم الطويل، حتى تصير حياة المسلم أشبه بحياة العابثين الذين لا رسالة لهم.

وكل دقيقة تضيع هي في الحقيقة خصم من رصيد العمر المحدود، قال بعض السلف: «اِبْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ، ذَهَبَ بَعْضُكَ».

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر: ١-٣].

هذه السورة العظيمة وضعت العلاج الجذري: أن العمر كله خسران، إلا إذا عُمِّر بالإيمان والعمل الصالح والتواصي على الحق والصبر. فالوقت لا يُنقذ إلا باستثماره في الطاعات والنافع من الأعمال.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إنَّ الدنْيا مَلْعونَةٌ، ملعونٌ ما فيها؛ إلا ذِكْرَ الله ومَا والاه، وعالِمٌ أو متَعَلِّمٌ»(١)

هذا الحديث قاعدة في فقه الوقت، يعلّم المسلم أن العمر قصير، وأن ما يملكه من صحة وفراغ هو كنز لن يبقى، فإن لم يغتنمه اليوم ندم غدًا.

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٦٥).

ومن الوسائل العملية أيضًا:

١- وضع برنامج يومي يُقسَّم فيه الوقت بين عبادة وعلم وعمل نافع، حتى لا يضيع في العشوائية.

٢- ملازمة ذكر الله، فإن الذاكر في كل أحواله مستثمر لعمره.

٣- صحبة أهل الهمة الذين يذكّرون بالآخرة، ويعينون على استغلال الوقت.

٤- تذكّر الموت دائمًا، فإنه يقطع الغفلة ويجعل كل لحظة غالية.

٥- إن أعظم ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة بعد الإيمان: عمره فيما أفناه، فلا يليق بالمؤمن أن يكون من الخاسرين الذين باعوا أغلى ما يملكون بأبخس ثمن.

الخندق الخامس: عزل الشباب عن العلماء

من أخطر مكايد الأعداء – سواء كانوا من شياطين الإنس أو الجن – أن يُسقطوا هيبة العلماء الربانيين من قلوب الشباب، حتى يُحرموا من النور الذي أنزله الله على ألسنتهم.

فإذا بُترت الصلة بين الأمة وعلمائها، صار الشباب فريسة للشبهات، يأخذون دينهم من غير أهله: من مشاهير مواقع التواصل، أو من دعاة الحداثة، أو من أهل الأهواء والبدع.

وهكذا تنقطع السلسلة الذهبية في نقل الدين، التي لا يُعرف الإسلام إلا بها.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:٤٣].

أمر الله عباده إذا جهلوا أن يسألوا أهل العلم، فالعلماء هم أهل الذكر، لا المطربون ولا السياسيون ولا الإعلاميون. فمن استبدل العلماء بغيرهم ضل الطريق، وخسر الدين، وسقط في الجهل المركب.

ويقول الله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي

ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ [سورة النساء:٨٣].

هذه الآية دالة على أن المرجع في قضايا الأمة الكبرى هم العلماء الصادقون الذين ورثوا علم الكتاب والسنة، فالعامة لا يميزون دقائق الأحكام، وإنما يعرفها أهل الاستنباط والفقه الراسخ.

ومن هنا فإن أعظم ما يُوجَّه إليه الشباب هو أن يربطوا قلوبهم بالعلماء الربانيين، لأنهم صمام أمان بعد الله، يحفظون الدين من التحريف، ويقودون الأمة في الفتن.

فكما كانت الأمة في حاجة إلى الأنبياء لهدايتها، فهي محتاجة إلى العلماء بعد انقطاع الوحي.

ولهذا قال ابن المبارك: «هَلْ لِلنَّاسِ عِنْدَ الفِتَنِ مَلْجَأٌ إِلَّا العُلَمَاءُ؟».

إن هيبة العلماء في النفوس ضرورة لحفظ الدين؛ فإذا وُقِّر العلماء وتُبعت أقوالهم استقام الناس، وإذا هُوِّن من شأنهم وقع الانفلات والاضطراب.

لذلك نجد أعداء الإسلام في كل زمان يسعون جاهدين لصرف الناس عن علمائهم، فيشوّهون صورتهم، ويُسقطون مكانتهم، ويُزهدون الشباب فيهم، حتى تُترك الساحة للجهال والدخلاء.

قال ابن سيرين رحمه الله «إِنَّ هٰذَا العِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ».

فليس كل من تزيّا بزيّ العلم يُؤخذ عنه، بل المرجع إلى العلماء الثقات المعروفين بالصدق والاتباع، لا أهل الأهواء والأحزاب.

فارتباط الشباب بالعلماء الراسخين يقيهم من الانحراف الفكري، ويصدّهم عن الغلو والتفريط، ويربّيهم على الوسطية التي جاء بها الشرع.

أما إذا قُطعت صلتهم بالعلماء، صاروا فريسة للشبهات والشهوات، وتلقّفهم دعاة الضلال.

الخلاصة:

إن الآية الكريمة أرست قاعدة باقية: أن حياة الأمة وصلاحها مرهونان بالرجوع إلى علمائها الصادقين، وتعظيمهم، وربط الأجيال بهم، وأن الأعداء لا يطمعون في هدم الدين إلا إذا نجحوا أولًا في إسقاط مكانة العلماء.

فليحذر المسلم من هذه الحرب الخبيثة، وليحفظ للعلماء هيبتهم، فإنهم حُماة الشريعة وصمام أمان للأمة.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنْ وَرَثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١)

يبين الحديث أن طريق الرسالة لا يُنال إلا عبر العلماء، فهم حملة الميراث النبوي.

فمن عزلهم أو أبغضهم أو استغنى عنهم فقد انقطع عن ميراث النبوة، ولو جمع الدنيا كلها.

ومن وسائل العزل التي يتقنها الأعداء اليوم:

١- تشويه صورة العلماء عبر الإعلام، وإبرازهم في صورة رجعيين متأخرين.

٢- تضخيم أخطاء جزئية وتعميمها للطعن في مكانتهم كلها.

٣- إبراز رموز فارغة من العلم كقدوات بديلة: فنان، لاعب، صانع محتوى.

٤- بث الشبهات حول المرجعيات ولاسيما أهل السنة السلفيين، حتى يزهد الشباب

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في الأصول الصحيحة، ويقبلوا على الأهواء والبدع.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

هذا الميثاق الإلهي بيّن أن وظيفة العلماء هي البيان، ووظيفة الأمة أن تأخذ عنهم، فمن صدّ عن العلماء فقد خان العهد الذي أخذه الله عليهم.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»(١)

يقرر الحديث أن توقير العلماء من الدين، وأن من استهان بهم أو أنكر حقهم فقد خرج عن سبيل الأمة.

ومن الوسائل العملية:

١- لزوم العلماء الربانيين المعروفين بالسنة، وأخذ العلم عنهم مباشرة أو عبر كتبهم الموثوقة.

٢- تعليم الشباب أدب السؤال والتلقي، فالجهل بأدب الطلب هو أول باب للعزل عن العلماء.

٣- التحذير من دعاة السوء وأهل الشهرة بلا علم، وبيان خطرهم على العقيدة والدين.

٤- غرس قيمة التلقي للعلم عن أهله، حتى يعلم الشباب أن الدين لا يؤخذ من فراغ، بل من صدور العلماء إلى صدور طلابهم.

(١) رواه أحمد (٦٦٦٦) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إن الأمة بلا علمائها أمة عمياء، والجيل الذي يُعزل عن علمائه يسقط فريسة سهلة لأعداء الدين.

ومن أدرك هذه المكيدة وجب عليه أن يشبك قلبه بالعلماء الربانيين، فبهم يُحفظ الدين، وبفقدهم تضيع الملة.

الخندق السادس: تفتيت الجماعة

من أعظم مكائد الشيطان وأوليائه تفريق صف المسلمين، وزرع العداوة والبغضاء بينهم، حتى يصيروا شيعًا متناحرة، بدل أن يكونوا جسدًا واحدًا كما أمرهم الل، فإذا ضعفت الجماعة وذهبت ريحها، صار الأعداء يتلاعبون بها كيف شاؤوا، وصار بأس الأمة بينها شديدًا، بعدما كان موجهًا نحو أعدائها.

وهذه المكيدة لا تزال تتجدد في كل عصر بألوان جديدة من التحزب، والتعصب، والتشويه الإعلامي، وإشعال نيران الفتن الداخلية.

والله يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يأمرنا الله بالاعتصام بحبله المتين – أي كتابه وسنّة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ – لا برايات حزبية أو قومية أو شعارات وطنية، فالاعتصام الجماعي بدين الله هو الحصن من الفتن، وأما التفرق فهو طريق الهلاك.

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قَامَ فِينَا، فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ**

فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[(١)].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[(٢)]

في الحديث وعيد شـــديد على من خرج عن جماعة المســـلمين، فإن الله يؤيد الجماعة ويحفظها، وأما من شذّ بنفسه أو بحزبه فقد عرّض نفسه للخذلان.

ومن وسائل الأعداء في تفتيت الجماعة:

١- إذكاء النعرات القبلية والطائفية، حتى يتناحر المسلمون فيما بينهم.

٢- تغذية الحزبيات والتنظيمات التي ترفع شعارًا غير الكتاب والسنّة.

٣- نشر الشبهات بين الشباب حول شرعية الاجتماع والجماعة، حتى يُزهدوا في وحدة المسلمين.

٤- دعم حركات التمرد والخروج على ولاة الأمر، لإســـقاط هيبة الطاعة الشـــرعية، وإشاعة الفوضى في الأمة.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

يقرر الله أن رابطـة الأخوة الإيمـانيـة أعظم من كـل الروابط، وأنهـا فوق القوميـات والجنسيات والمصالح الشخصية، فإذا غابت هذه الأخوة ضعف البناء كله.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يبين الحديث أن قوة الأمة في ترابطها، وأن انهيار جزء منها يُضعف البقية، كما أن سقوط حجر في البنيان يعرض باقيه للسقوط.

وسائل عملية للثبات:

١- غرس قيمة الولاء والبراء في القلوب، وأن الولاء لا يكون إلا لله ورسوله والمؤمنين.

٢- التربية على محبة السنة وأهلها، والبراءة من الأحزاب والفرق التي تشق الصف.

٣- الحذر من دعاة الفتنة الذين يشعلون الصراع بين المسلمين، وكشف مكايدهم للشباب.

٤- ترسيخ مفهوم السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمر، فإنها صمام أمان لوحدة الأمة.

٥- إشغال القلوب بالعلم والعمل الصالح والدعوة، بدل الانشغال بالخصومات الجانبية.

إن الجماعة حصن عظيم من حصون الإسلام، ومن ضيع هذا الحصن خسر الدين والدنيا معًا.

وما دام المسلمون على قلب رجل واحد، لن تستطيع قوى الأرض كلها أن تفرقهم، ولكن إذا تفرقوا فلن ينفعهم كثرتهم، بل يصيرون غثاءً كغثاء السيل.

الخندق السابع: إفساد الحياء

الحياء هو سياج القلب، وحارس الفضيلة، فإذا فُقد انفتح باب كل شر، وكان الهلاك أقرب ما يكون، ومن أخطر ما يسعى إليه أعداء الدين في زماننا هذا هو تحطيم خلق الحياء، وتسويغ الجرأة على المعصية، حتى يصير التبرج والمجون والسفور أمرًا عاديًّا مألوفًا،

ويُسخر من المتمسك بالحياء ويُتهم بالتشدد والتخلف.

فإذا انكسر الحياء في قلب المرء، تجرأ على المعاصي، ولم يعد يبالي بنظر الله إليه.

والله يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠].

يأمر الله المؤمنين بغض البصر وحفظ الفروج، وجعل ذلك سببًا للزكاء والطهارة، فالعين بريد القلب، فإذا سلمت من النظر المحرم، سلم القلب من الفتنة، وبقي الحياء حيًّا.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[(١)]

يقرر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الحياء كله خير، وأنه لا يأتي إلا بخير، فإذا نزع الحياء لم يبق في القلب خير، بل صار عرضة للشرور كلها.

ومن وسائل الأعداء في إفساد الحياء:

١- نشر صور الفاحشة عبر الإعلام والمنصات الرقمية حتى يعتادها النظر.

٢- تسويغ السفور والتبرج باسم الحرية والموضة.

٣- السخرية من المحتشمين والمحتشمات، ووصمهم بالتخلف.

٤- صناعة رموز فنية ومشاهير بلا خلق ولا دين، وتقديمهم قدوة للشباب.

٥- إضعاف الغيرة في قلوب الرجال والنساء، حتى لا يغار المرء على عرضه وأهله.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

---

(١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]

بيّن الله أن الطهارة والزكاء الحقيقيان في الحياء وغض البصر، لا في الانفتاح وكسر الحواجز، فالحياء حماية للقلب لا عائق للحياة.

وقال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١)

هذا الحديث يجعل الحياء جزءًا أصيلًا من الإيمان، فمن فقد الحياء فقد شعبة عظيمة من شعب الإيمان.

وسائل عملية للثبات:

١- تعظيم مراقبة الله في القلب، واستحضار أنه سبحانه يراك في السر والعلن.

٢- الإكثار من تلاوة القرآن والذكر، فإنها تُحيي القلب وتورث الخشية.

٣- البعد عن مواطن الفتنة، وغض البصر عن المحرمات.

٤- تقوية الغيرة الشرعية في النفس، والمحافظة على حدود الله في الأهل والنساء.

٥- اختيار الصحبة الصالحة التي تعين على الحياء والعفة.

إن الحياء تاج المؤمن، فإذا نُزع سقطت كل حصونه، وكان عُرضة للمعاصي والفضائح.

ولذلك كان من دعاء النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».

فمن أراد النجاة فليحافظ على حيائه، فإنه من الإيمان، ولا يأتي إلا بخير.

---

(١) رواه مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الخندق الثامن: تلميع أهل الباطل

من أعظم مكائد الأعداء في زماننا صناعة القدوات الزائفة، وتلميع أهل الفسق والفجور والفن الماجن، ليكونوا هم المراجع عند الشــباب، فيتخذونهم قدوة في اللباس والكلام والسلوك، بينما يُحارب أهل العلم والدعوة ويُهمش ذكرهم.

وهذه خطة مدروسة؛ إذ يعلمون أن الأمة إذا فقدت قدواتها الصالحين، وتعلقت بالرموز الباطلة، انحرفت عن الجادة وتربت على عين الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

يقرر الله أن شياطين الإنس والجن يتواصون بتزيين الباطل وتزخرفه، حتى يفتنوا القلوب عن الحق، فهم لا يملكون حجة ولا برهانًا، وإنما زخارف القول والظهور الكاذب.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ»(١)

هذا الحديث يشــير إلى أن من علامات آخر الزمان غياب العلماء وانتشــار الجهل، فيرتفع أهل الباطل، ويُتخذون أئمة وقدوات، ويُتوارى أهل الحق في زوايا التهميش.

من وسائل الأعداء في تلميع أهل الباطل:

١- تضخيم صورهم في الإعلام، وجعلهم واجهة للشباب.

٢- بث برامج ومسلسلات وأغاني تجعل الفاسق نجمًا لامعًا.

٣- تصوير الدعاة والعلماء في صورة متشددة أو رجعية لإسقاط مكانتهم.

٤- نشر قصص مزيفة عن حياة العصاة لتبرير فسقهم وتزيين طريقهم.

---

(١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

٥- ربط الشهرة والنجاح بالمخالفات الشرعية، لا بالعلم والخلق.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

يرفع الله مكانة العلماء والمهتدين، فمن اتخذهم قدوة علا شأنه عند الله، أما أهل الباطل فهم إلى زوال مهما لمعوا.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنْ وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١]

بهذا الحديث يتبين أن القدوة الحق هم العلماء، فهم ورثة الأنبياء، وأهل الباطل لا يورّثون إلا الضياع والانحراف.

وسائل عملية للثبات:

١- نشر سِيَر العلماء والدعاة الصادقين وربط الشباب بهم.

٢- التمسك بالقرآن والسنة في معرفة معايير القدوة.

٣- مقاطعة وسائل التلميع الإعلامي لأهل الفجور.

٤- غرس قيمة القدوة الصالحة في البيوت والمساجد.

٥- الدعاء الدائم بالثبات على الحق ومجانبة الباطل.

فمن تعلّق قلبه بأهل الباطل ضلّ وهلك، ومن اتخذ العلماء والمهتدين قدوةً نجا وفاز.

والعاقل من عرف أين يضع قلبه ومن أين يأخذ دينه.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخندق التاسع: الاستهزاء بالدين وأهله

من أساليب الحرب الفكرية والنفسية التي يستعملها الأعداء الاستهزاءُ بالدين وأهله، والسخريةُ من شعائر الإسلام وأحكامه، حتى تُكسر هيبة الدين في قلوب الناس. وقد كان هذا دأب الكفار منذ القديم؛ يسخرون من المؤمنين ويضحكون منهم، حتى يصرفوا الناس عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ [سورة المطففين:٢٩-٣٠].

فهذه سنة ماضية، إذ لا يملك أهل الباطل حجة فيلجؤون إلى السخرية والاستهزاء.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»(١)

فيه تحذير شديد من اتخاذ الكذب والمزاح الباطل وسيلة للضحك، فكيف بمن يسخر من الدين وأهله؟! إنه أعظم إثمًا وأشد عاقبة.

من وسائل الأعداء في هذا الباب:

١- صناعة مواد إعلامية وفنية هزلية تجعل الدين مادة سخرية، كالمسلسلات والأفلام.

٢- تشويه صورة المتدين في صورة المتشدد أو الجاهل.

٣- إطلاق النكات على السنن والشعائر لتُفقد هيبتها.

٤- التهكم بأهل العلم والدعوة وتسميتهم بأوصاف منفّرة.

٥- إظهار الملتزمين بصورة عالة على المجتمع، ليزهد الناس فيهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٥) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ [سورة المطففين:٢٩-٣٤].

بين الله أن مآل الاستهزاء انقلب يوم القيامة، فالكفار الذين سخروا يُسخر منهم، والمؤمنون الذين صبروا هم المكرمون في جنات النعيم.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١)

فالمؤمن يحفظ لسانه عن السخرية والباطل، ويعوّد نفسه قول الخير، فإن حفظ اللسان صيانة للقلب والدين.

وسائل عملية للثبات:

١- اليقين أن الاستهزاء بالدين ليس ضعفًا في الدين، بل هو دليل عجز من أعدائه.

٢- تعليم الناس أن السخرية من الدين كفر مخرج من الملة، كما نص العلماء.

٣- الصبر والثبات على الحق، وعدم الانكسار أمام المستهزئين.

٤- نصرة العلماء والدعاة، والذب عنهم بالحق.

٥- استحضار الآخرة دائمًا، وأن الله سيعلي كلمة المؤمنين ويُخزي المستهزئين.

فالذي يسخر اليوم سيبكي غدًا، والذي يُهان من أهل الدين اليوم سيرفعه الله غدًا، والعاقبة للمتقين.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الخندق العاشر: تفريغ الهوية

من أخطر مكايد الأعداء سعيُهم إلى مسخ هوية المسلم، وسلبه انتماءه لدينه وأمته، حتى يصبح نسخة مشوّهة تابعة للغرب في عاداته وقيمه، فلا يعتز بدينه ولا يفتخر بأمته.

وهذه الحرب ناعمة طويلة المدى، تستهدف العقل واللسان واللباس والعادات، حتى يتربى المسلم على أن الكمال في تقليد غيره، والرجعية في التمسك بدينه. قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فعداوتهم لا تزول إلا إذا تنازل المسلم عن دينه وهويته.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)

هذا أصل خطير، فالمتابعة في الظاهر تؤدي إلى الألفة في الباطن، والذوبان في هوية غير المسلمين يجعل صاحبه منهم في الولاء والانتماء.

من وسائل الأعداء في تفريغ الهوية:

١- فرض المناهج التعليمية الممسوخة التي تُضعف الانتماء للعقيدة والتاريخ الإسلامي.

٢- تلميع الرموز الغربية والأجنبية وجعلهم قدوات للشباب.

٣- تغريب اللسان العربي وإضعاف الفصحى لصالح لغات أخرى.

٤- غزو الموضات في اللباس والهيئات والسلوكيات.

٥- تصوير الالتزام بالإسلام على أنه تخلّف، والانفلات على أنه تحضر.

٦- وسائل الإعلام التي تبث قيمًا غريبة عن المجتمع المسلم، حتى تصبح مألوفة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

هذا الاسم العظيم - «المسلمون» - هو هوية خالدة، سمّانا الله بها قبل نزول الكتب وبعدها، فلا يجوز التفريط فيها ولا استبدالها بغيرها.

وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى»(١)

الإسلام هو المهيمن، فإذا تمسّك المسلم بهويته رفعه الله، وإذا تنازل عنها أذله الله.

وسائل عملية للثبات:

١- الاعتزاز باللغة العربية وحفظها، فهي وعاء القرآن والسنة.

٢- دراسة التاريخ الإسلامي وربط الأجيال بسيرة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته.

٣- اختيار القدوات من العلماء والدعاة والمصلحين لا من الممثلين والفاسقين.

٤- الالتزام باللباس المحتشم الذي يعبّر عن العزة لا الذوبان.

٥- غرس معاني الولاء لله ولرسوله ولدينه في نفوس الشباب.

٦- بث الوعي بأن العزة ليست في تقليد الغير، وإنما في الاستمساك بالهوية الإسلامية.

فالهوية الإسلامية ليست قشرة خارجية، بل هي عقيدة وشريعة وسلوك، من فرّغها فقد فرّغ قلبه من الدين، ومن ثبت عليها كان من الناجين.

الخندق الحادي عشر: إضعاف العقيدة

العقيدة هي أصل الدين وأساس النجاة، فإذا انهارت انهار كل شيء. لذلك ركّز الأعداء

---

(١) رواه الدارقطني (٣/ ١٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وغيره وحسنه بعض أهل العلم وهو في «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (٥/ ١٠٦).

على تمييع العقائد، حتى يُلغوا الفوارق بين التوحيد والشرك، ويُقال: كل الأديان سواء، وكل الطرق توصل إلى الله! وهذا أخطر ما يكون؛ لأنه يهدم الحصن الأول في قلب المسلم، وهو التوحيد الخالص لله. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [سورة الكافرون:١-٢].

ففي هذه السورة براءة صريحة من الشرك وأهله، ووضوح لا يقبل المساومة.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا، دَخَلَ النَّارَ»(١)

الحديث يؤكد أن الشـــرك خطر عظيم، وأن من مات عليه فمآله النار، مهما عمل من أعمال أخرى.

من وسائل الأعداء في إضعاف العقيدة:

١- الدعوة إلى «الأخوة الإنسانية» بمعنى محو الفوارق العقدية.

٢- نشر فكرة «حرية الاعتقاد» المطلقة التي تجعل الكفر مساويًا للإيمان.

٣- الترويج لمصطلح «تقبّل الآخر» حتى لو كان عابد صنم أو طاغوت.

٤- نشر الشبهات الفكرية والإلحاد عبر الإعلام والمنصات.

٥- تربية النشء على أن الولاء ليس لله ولرسوله وللمؤمنين، بل للإنسانية المجردة.

٦- تصوير الدعوة للتوحيد بأنها تشدد، والتفرقة بين الحق والباطل بأنها تطرف.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. أعظم علم هو علم التوحيد، والنجاة مرتبطة بتحقيق لا إله إلا الله علمًا وعملاً واعتقادًا.

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(١)

التمسك بلا إله إلا الله حصن حصين من النار، بشرط أن تكون خالصة لله، بعيدة عن الشرك والرياء.

وسائل عملية للثبات على العقيدة:

١- تعلم العقيدة الصحيحة من مصادرها: كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على فهم السلف الصالح.

٢- لزوم العلماء الراسخين، والابتعاد عن دعاة التمييع والانحراف.

٣- التحذير من الشركيات والبدع والخرافات التي تضعف التوحيد.

٤- غرس الولاء والبراء في القلوب: الولاء للمؤمنين والبراءة من الكفر وأهله.

٥- نشر التوحيد في البيوت، وتعليم الأبناء معانيه منذ الصغر.

٦- كثرة الدعاء بالثبات، كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

فالعقيدة هي حياة القلوب، والعدو يعلم أنه إن أضعفها أسقط المسلم من الداخل، لذا لا نجاة إلا بحراسة التوحيد، والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

الخندق الثاني عشر: التقليل من الآخرة

من أعظم مكايد الشيطان والأعداء أن يُصرف الناس عن التفكير في الآخرة، ويُغرقوهم في متاع الدنيا وزينتها، حتى ينسوا المصير المحتوم، فينشغل المسلم بالمال والجاه واللهو،

(١) رواه البخاري (٤١٥) ومسلم (٣٣) عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ويُهمِل العمل لما بعد الموت. قال الله تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ [الحجر: ٣]. فالدنيا لهو ولعب، والاغترار بها غفلة مهلكة.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِن ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتِ»[١]

الحديث يبين أن كثرة ذكر الموت تكسر الغفلة، وترد القلب إلى الاستعداد للقاء الله، وتمنع من طول الأمل الذي يفسد الدين.

من وسائل الأعداء في التقليل من الآخرة:

١- جعل الإعلام والترفيه محور الحياة، حتى لا يفكر المسلم في الآخرة.

٢- نشر ثقافة «استمتع الآن ودع الغد» وكأن لا حساب بعد الموت.

٣- تصوير أهل العبادة والذكر بأنهم متشائمون أو معقدون.

٤- التهوين من أمر القبر والبعث والجنة والنار، أو اعتبارها رموزًا لا حقائق.

٥- إلهاء الناس بالمسلسلات والمباريات والسوشيال ميديا عن ذكر الله.

٦- نشر الفلسفات المادية التي تنكر الآخرة أصلًا أو تشكك فيها.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

هذه الآية جامعة: الموت يقين، والآخرة هي دار الجزاء، فلا ينبغي أن يغفل القلب عنها لحظة.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ»(١)

الفطن هو من يُحاسب نفسه ويستعد للآخرة، لا من يلهث وراء الدنيا ويؤجل التوبة.

وسائل عملية للثبات:

١- الإكثار من ذكر الموت والدار الآخرة، وزيارة القبور للعظة.

٢- قراءة القرآن بتدبر، خاصة آيات البعث والجزاء.

٣- الحرص على حضور الجنائز، فهي موعظة بليغة.

٤- تربية النفس والأبناء على أن الدنيا ممرّ لا مقرّ.

٥- تقليل التعلق بالترف والمظاهر التي تُنسي الآخرة.

٦- الدعاء بأن يجعل الله القلوب معلقة بالدار الباقية.

فالآخرة هي دار القرار، ومن نسيها هلك في لهو الدنيا، ومن جعلها نصب عينيه عاش زاهدًا راضيًا مستعدًا للقاء الله.

الخندق الثالث عشر: إغراق الناس بالترف

من أخطر ما يُفتن به الناس أن يُغرقوا في زخارف الدنيا وملذاتها، حتى تنشغل قلوبهم بالمظاهر وتُستعبدها الشهوات، فيغيب عنهم الاستعداد للآخرة. فالترف باب واسع لفساد القلوب، إذ يجعل الهموم محصورة في المأكل والمشرب والملبس، وتضيع بذلك الغاية التي خُلق الإنسان لها. قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③﴾ [الحجر: ٣].

الآية ترسم حال الغافلين؛ يأكلون ويستمتعون بالدنيا، حتى يطول بهم الأمل وينسون

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الآخرة، فإذا جاءهم الحق فوجئوا بالعاقبة الأليمة.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا الفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١)

الحديث يبيّن أن الخطر الأكبر على الأمة ليس في الفقر، بل في انغماسها بالترف؛ لأنه يجر إلى التنافس والخصام والغفلة، فيُهلكها كما أهلك من قبلها.

من وسائل الأعداء في هذا الباب:

١- إشغال الناس بالأسواق والموضات والمظاهر حتى يضيع وقتهم.

٢- فتح أبواب القروض والديون لتكبيل القلوب بالدنيا.

٣- إغراق الإعلام بالإعلانات والصور الاستهلاكية.

٤- جعل المترفين هم القدوة في حياة الناس.

٥- إضعاف روح الزهد والقناعة، حتى يستصغر الناس العبادة ويعظّموا المال.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧].

العلاج أن يتذكر العبد فناء الدنيا وبقاء الآخرة، فيجعلها هي موطن استثماره وحرثه الحقيقي.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١) عن عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُحِبُّكَ النَّاسُ»[١]

الزهد ليس ترك المال بالكلية، وإنما أن يكون في اليد لا في القلب، وأن لا يُقدّم على الدين.

وسائل عملية للثبات:

١- تربية النفس على القناعة والرضا بما قسم الله.

٢- كثرة ذكر الموت لتنكسر غفلة القلب.

٣- الإنفاق في سبيل الله بدل الإسراف على الشهوات.

٤- تربية الأبناء على البساطة لا على الترف.

٥- تذكير النفس أن الدنيا دار ممرّ لا مقرّ.

فالترف سمّ قاتل يتسلل به الشيطان، وإذا تمكن من القلوب أضعفها عن الطاعات، وجعلها أسرى للملذّات، فلا نجاة إلا بالزهد والاعتدال والتعلق بالدار الآخرة.

الخندق الرابع عشر: تزيين الفاحشة

من أعظم مكائد الشيطان في هذا الزمان أن تُعرَض الفواحش بلا حياء، وتُزيَّن حتى تُقبل في المجتمعات على أنها حرية شخصية أو تقدم حضاري، فيزول استنكارها من القلوب، ويصبح الحديث عنها أو عرضها أمرًا مألوفًا.

وهذه مرحلة خطيرة، إذ تتحول الفاحشة من معصية خفية يستحي أصحابها منها، إلى سلوك مُعلن يُدافع عنه ويُشرَّع له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ [النور: ١٩].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

في هذه الآية وعيد شديد لمن يُشيع الفاحشة أو يساهم في نشرها بأي صورة، فمحبة إشاعتها جريمة تُوجب العذاب، فكيف بمن يدعو إليها أو يُزينها أو يسكت عن انتشارها؟

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(١)

الحديث أصل في أن سقوط الحياء يفتح باب كل شر، فإذا لم يكن هناك وازع داخلي من الحياء، وقع الإنسان في أقبح الفواحش بلا تردد.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر المسلسلات والأفلام في التلفزيونات والقنوات والجوالات ومواقع التوصل الاجتماعي التي تعرض الفاحشة في صورة الحب أو الحرية.

٢- تسليع الجسد في الإعلانات والموضات، حتى يُصبح أداة للكسب.

٣- الدعوة لرفع الحجاب والحياء بدعوى الانفتاح.

٤- سنّ قوانين تحمي الفواحش وتجرّم من ينتقدها.

٥- استغلال وسائل التواصل لنشر المقاطع المبتذلة، حتى تصل لكل بيت.

٦- السخرية من الغيورين على الدين، واتهامهم بالرجعية والتشدد.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]. غض البصر هو أول باب للنجاة من الفاحشة؛ لأنه يحمي القلب من التعلق بالصور المحرمة، ويزكي النفس من الخبث.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٣) عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»(١)

الحديث يقرر أن ضبط اللسان والفرج هو مفتاح الجنة، وأن أعظم ما يُهلك العبد ترك الحياء من القول والفعل.

وسائل عملية للثبات:

١- تعويد النفس على الاستعاذة بالله عند رؤية المحرمات.

٢- شغل الأوقات بالطاعات، فالفراغ باب للفتنة.

٣- اختيار الصحبة الصالحة التي تعين على العفة.

٤- إغلاق كل ما يدعو إلى أبواب الفتنة، ومتابعة أهل السوء.

٥- تربية الأبناء على الحياء منذ الصغر، وتحصينهم بالقرآن.

٦- الإكثار من الدعاء: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي وَحَصِّنْ فَرْجِي».

فالوقوف أمام موجة تطبيع الفاحشة لا يكون إلا بالحياء والإيمان، فإذا بقي الحياء حيًّا في القلوب بقي الدين، وإذا انكسر الحياء انفتح باب كل شر.

الخندق الخامس عشر: إضعاف الغيرة على الدين

من أعظم ما يحفظ الإيمان في القلوب: الغيرة لله، والحمية لشريعته، فإذا ضعف هذا المعنى انكسرت النفوس أمام الباطل، وصار المنكر يُرى فلا تتحرك له القلوب.

وهذا من أخطر مكايد الأعداء اليوم، حيث يسعون لتجريد المسلمين من غيرتهم حتى يصبحوا بلا هوية ولا دفاع عن دينهم. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

نَصَبٌ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠].

تبين هذه الآية أن مجرد إغاظة الكفار عمل صـــالح، فكيف بالثبات على الدين وإظهار الغيرة له؟ فهذا باب عظيم من أبواب الجهاد والإيمان.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعَجَّبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللهِ لأَنَا أَغِيرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغِيرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غِيرَةِ اللهِ حُرِمَ الفَوَاحِشُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[١]

الحديث يقرر أن الغيرة صفة لله عز وجل، وأنها منبع تحريم الفواحش، فمن فقد الغيرة فقد الإيمان.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر ثقافة «التعايش» مع الباطل بلا إنكار.

٢- الدعوة لحرية الرأي حتى لو تضمنت سب الدين أو الاستهزاء بالشعائر.

٣- الترويج لشعار «لا شأن لك» لإسكات الآمرين بالمعروف.

٤- السخرية من الغيورين واتهامهم بالتشدد.

٥- تربية الأجيال على تقبّل كل شيء باسم الانفتاح.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧].

النصــر والتمكين مشــروط بنصــرة دين الله، وأعظم صــور النصــرة الغيرة على حدوده وعدم الرضا بانتهاكها.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٠) ومسلم (١٤٩٩) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١)

الحديث أصل في أن الغيرة على الدين لا تسقط عن أحد، فكل مؤمن مأمور أن ينكر حسب قدرته، ولا يسقط ذلك عنه ما دام في قلبه إيمان.

وسائل عملية للثبات:

١- تربية النفس على استشعار عظمة الله وحدوده.

٢- قراءة سير الصحابة في غيرتهم على الدين، كقصة عمر مع حجاب نساء المؤمنين.

٣- الحرص على بيئة صالحة تحيي الغيرة ولا تميت القلوب.

٤- الدفاع عن الدين وأهله بالكلمة والموقف.

٥- الدعاء الدائم.

فالغيرة صمام الأمان، وإذا سقطت الغيرة سقط الدين، ومن ضيّع الغيرة ضيّع الإيمان.

الخندق السادس عشر: تحويل المرأة إلى أداة فتنة

من خطط الأعداء في حرب الإيمان أن يجعلوا المرأة وسيلة لإفساد المجتمعات، فيكشفوا سترها، ويجعلوا صورتها سلعة للإعلانات، ويجعلوا دورها الأساس زينةً وترفيهًا بدل أن تكون لبنةً عفيفةً في بناء الأسرة المسلمة. قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. في هذه الآية تحذير من التبرج الذي كان سبب ضلال الأمم السابقة، وبيان أن القرار في البيت وصيانة العرض من أعظم أسباب حفظ الأمة.

(١) رواه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١)

يقرر الحديث أن الفتنة بالنساء من أعظم ما يفتك بالرجال ويضعف دينهم، وأن الانشغال بالشهوات أخطر من كثير من المعارك الظاهرة.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نزع الحجاب وتصويره تخلفًا.

٢- نشر الأفلام والمسلسلات التي تُظهر المرأة أداة إثارة.

٣- الترويج لفكرة «الحرية المطلقة» لتبرير التبرج والفاحشة.

٤- إقصاء دور الأم المربية، واستبداله بالمرأة العاملة وفق شروط الغرب.

٥- استغلال وسائل التواصل لإغراق الشباب بالصور والمشاهد المحرمة.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النور: ٣٠].

بداية العلاج بحفظ البصر، فالنظر أصل الفتنة، ومن غَضّ بصره سلم قلبه.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»(٢)

هذا الحديث يبين أن الأصل في المرأة الستر والصيانة، وأن خروجها بتبرج يجعلها مطمعًا للشياطين وأهل الفتنة.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه الترمذي (١١٧٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسائل عملية للوقاية:

١- تعزيز خلق الحياء في الأسرة منذ الصغر.

٢- بيان مكانة المرأة كأم وزوجة وبنت، لا كسلعة تُباع وتُشترى.

٣- نشر القدوات الصالحات من الصحابيات والتابعيات.

٤- تمكين الزواج المبكر قدر المستطاع لحفظ الشباب.

٥- تربية الفتيات على أن الحجاب عزّ وكرامة لا قيد وحرمان.

فالمرأة إذا صلحت صلح بها البيت، وإذا فسدت فسد المجتمع بأسره، لذا كانت من أخطر ميادين حرب الإيمان.

الخندق السابع عشر: إحياء العصبيات الجاهلية

من مكائد الشيطان وأعوانه إيقاظ العصبيات المذمومة بين المسلمين؛ قومية كانت أو قبلية أو حزبية، حتى يتفرقوا شيعًا وأحزابًا، ويضعفوا عن مواجهة عدوهم الحقيقي.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

بيّن الله أن الحمية الجاهلية نار تحرق وحدة الأمة، وأن العلاج في السكينة والإيمان، لا في رفع رايات العصبية.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(١)

الحديث يحذّر أن مجرد القتال أو العمل تحت راية العصبية يجعل صاحبه على طريقة

(١) رواه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الجاهلية، وإن ظن أنه ينصر قومه.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- تغذية النزاعات القبلية والعنصرية عبر الإعلام والسياسة.

٢- زرع التعصب الحزبي حتى يُقدَّم الولاء للجماعة على الولاء للإسلام.

٣- إذكاء الصراعات القومية لتفرقة المسلمين شعوبًا وأقاليم.

٤- استبدال الانتماء للعقيدة بالانتماء للعرق أو الأرض.

٥- إحياء ثارات الجاهلية باسم «الكرامة» أو «الحقوق».

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. أصل الأخوة في الإسلام هو رابطة الدين، لا رابطة الدم أو الأرض، وهذه الأخوة أعظم ما يحفظ الأمة من التمزق.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»(١)

هذا الحديث يقصم العصبية من جذورها، ويجعل التبري منها جزءًا من الولاء للسنة.

وسائل عملية للوقاية:

١- غرس معاني الأخوة الإيمانية في القلوب منذ الصغر.

٢- تقديم الهوية الإسلامية على كل هوية أرضية أو عرقية.

٣- تصحيح المفاهيم بأن الدعوة للقبيلة أو الحزب ليست نصرة بل خيانة.

٤- ربط الشباب بسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته الذين آخى بينهم على

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٩) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أساس العقيدة.

٥- نبذ كل الشعارات المستوردة التي تزرع التشرذم في الأمة.

فالولاء للإسلام وحده هو الحصن المنيع، وكل ولاء سواه فهو ولاء مهزوم مآله إلى جاهلية وضياع.

الخندق الثامن عشر: تزيين البدع

من أعظم مكايد الشيطان أن يُلبس الباطل ثوب الحق، فيُدخل على الناس العبادات المحدثة، ويصرفهم عن السنة الصحيحة. فتُزين لهم البدع حتى يرونها قربة، ويجتمعون عليها ويتركون الهدي النبوي. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف:١٠٣-١٠٤].

هذه الآية تصف حال المبتدع، يعمل ويظن أنه يُتقرب، بينما هو بعيد عن الصواب، لأن الحق لا يكون إلا فيما شرعه الله.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)

الحديث قاعدة عظيمة في رد كل محدثة، فما لم يكن دينًا في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فليس من الدين، وإن حسّنه الناس بعقولهم.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- فتح الأبواب أمام الشعائر المبتدعة، كالموالد والطقوس الغريبة.

٢- تشويه صورة السنة بزعم أنها لا تناسب العصر.

٣- تلميع رموز أهل الأهواء، حتى يُقدَّموا كعلماء ومرشدين.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤- تسخير الإعلام لنشر البدع والترويج لأهلها.

٥- الطعن في دعاة التوحيد والسنة، واتهامهم بالتشدد.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

الهداية ليست في الابتداع، بل في اتباع ما آمن به الصحابة الكرام، فما خالف طريقتهم فهو ضلال.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١)

التحذير النبوي صريح أن البدع لا تحمل خيرًا، بل تقود إلى التيه والضلال.

وسائل عملية للوقاية:

١- طلب العلم على أيدي العلماء الراسخين من أهل السنة السلفيين، فالجهل باب البدعة الأكبر.

٢- ملازمة كتب السنة والاعتناء بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٣- نشر الوعي بين الناس بخطر البدع وآثارها.

٤- التمسك بالهدي العملي للصحابة والتابعين والسلف الصالح ككل.

٥- الدعاء بالثبات على الصراط المستقيم، فالله هو الهادي.

٦- فالبدع تُضعف الدين وتُفرّغ العبادة من حقيقتها، ولا ينجو العبد إلا بالتمسك بالوحي وترك كل ما أُحدث بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن هذا الباب إحياء البدع وإماتة السنن

من أخطر مكائد الشيطان أن يبدل للناس الدين، فيجعلهم يقبلون البدع ويعرضون عن السنن، حتى يظنوا أن الباطل قربة، وأن الحق تشدد وتنطع. وهذا من أعظم ما يطمس نور الوحي ويشوّه الدين في عيون الناس. قال الله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

هذه الآية صريحة في أن من اتبع غير ما شرع الله فقد جعل لنفسه شركاء من دون الله، فأعظم البدع أن يُشرع للناس ما لم يأذن به ربهم، ويُترك الوحي المنزل.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)

هذا الحديث أصل في ردّ كل بدعة، فكل ما أُحدث في الدين مما لم يشرعه الله ورسوله مردود على صاحبه، وإن حسَّنه الناس وزيَّنوه بأهوائهم.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر البدع المغلفة بالزهد والورع لتُقبل من العامة.

٢- محاربة دعاة السنة وتشويه صورتهم ليفسح المجال لأهل الأهواء.

٣- إحياء المواسم المبتدعة وإطفاء الشعائر الثابتة.

٤- تزيين البدع بأنها مظهر حضاري أو وسيلة تقريب بين الأديان.

٥- دس الأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة لترسيخ الباطل.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: ٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

النجاة في التمسك بالوحي، فلا يُعرف الدين بالعقول ولا بالعادات، وإنما بالوحي المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَاعْضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ»(١)

وصية جامعة تُبيّن أن عصمة الأمة في لزوم السنة، وأن كل محدثة في الدين ضلالة، وإن رآها الناس حسنة.

وسائل عملية للوقاية:

١- نشر العلم الصحيح المستمد من الكتاب والسنة وفهم السلف.

٢- تعليم الناس خطورة الابتداع في الدين وبيان أنه مردود.

٣- إحياء السنن في البيوت والمساجد لتكون هي الظاهرة.

٤- تربية الشباب على التمييز بين السنة والبدعة بالدليل.

٥- كشف الأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة وتنبيه العامة منها.

فالبدعة تبدأ صغيرة ثم تكبر، ولو سكت الناس عنها لأماتت السنن وغيّرت معالم الدين، ولا نجاة إلا بلزوم السنة كما تركها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته.

الخندق التاسع عشر: تغييب الجهاد الشرعي

من مكايد الأعداء العظيمة أن يُشوِّهوا صورة الجهاد المشروع، ويطمسوا معالمه، حتى لا يبقى في قلوب الأمة إلا صورة مشوَّهة مرتبطة بالعنف والدماء.

فيُحال بين المسلمين وبين فريضة من أعظم فرائض الدين التي بها تُصان العقيدة وتُحفظ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأرض وتُرفع راية الإسلام. قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

الآية تبين أن القتال وإن ثقل على النفوس، فهو خير لها، إذ يحفظ دينها ويكسر عدوها، لكن الأعداء يسعون إلى إبطال هذا الخير بطمسه وتشويهه.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ذُرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلَامِ: الْجِهَادُ»(١)

هذا الحديث يقرر أن الجهاد قمة الدين وعزته، فمن طُمس معناه أُخذت قمة الدين، وبقيت الأمة بلا شوكة.

ويقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١١]

ويقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر صورة الجهاد في ثوب الإرهاب الأعمى.

٢- استغلال الجماعات المنحرفة لتشويه أحكام الجهاد النبوي.

٣- إقصاء فريضة الجهاد من المناهج والمقررات.

٤- تسليط الإعلام العالمي لتصوير المجاهدين في سبيل الله وتحت راية ولي أمر مسلم

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شرعي أنهم وحوش وأرهابيون.

٥- إغراق الشباب في اللهو والترف حتى لا يفكروا في التضحية.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الغاية من الجهاد الشرعي رفع الفتنة عن الناس، وحماية التوحيد، لا سفك الدماء ولا الفوضى.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(١)

يدل الحديث على أن نية الجهاد في القلب علامة على صدق الإيمان، وأن فقدها خلل عظيم في الدين.

وسائل عملية للوقاية:

١- بيان الجهاد الصحيح كما جاء في الكتاب والسنة بشروطه وضوابطه المعلومة بعيدًا عن غلو الغلاة وتفريط الجبناء.

٢- فضح الجماعات المنحرفة التي تتستر باسم الجهاد وهي في حقيقتها خوارج.

٣- بث القدوات الصحيحة من الصحابة والتابعين في باب الجهاد.

٤- الدعاء بالثبات والنصر، فالله وحده يرفع راية الدين.

فالأمة لا تقوم لها قائمة بغير جهاد شرعي بضوابطه وشروطه المعتبرة شرعا فبه يحفظ

---

(١) رواه مسلم (١٩١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الدين ويكسر شوكة الأعداء، وما تسعى إليه القوى العالمية من تغييب هذه الفريضة إنما هو لضمان بقاء الأمة ضعيفة بلا سنام.

الخندق العشرون: تشويه مفهوم الولاء والبراء

من أعظم أصول العقيدة التي يحاربها الأعداء: عقيدة الولاء والبراء، فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر. يسعون لجعل الولاء للكافر أمرًا مقبولًا تحت مسميات الإنسانية والحرية والتعايش، ويسعون لإلغاء البراءة من الباطل حتى يصبح المسلم تابعًا للغرب في فكره وعاداته. قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الآية تقطع بأن المؤمن الصادق لا يجتمع في قلبه حب الله وحب أعداء الله، ومن ادعى ذلك فقد نازع الإيمان أصله.

وقال الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»(١)

الحديث يقرر أن هذا الأصل هو أقوى روابط الإيمان، فإذا فُكَّت هذه العروة انفك الإيمان شيئًا فشيئًا.

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- الدعوة لدمج الأديان بحجة وحدة الإنسانية.

٢- تقديم رموز الكفر في صورة أصدقاء وحلفاء للمسلمين.

٣- نشر مصطلحات مخادعة مثل «الأخوة الإنسانية» و«تسامح الأديان». و«الدين الإبراهيمي» و«حرية الأديان» «وحرية الفكر»

٤- تصوير البراءة من الباطل على أنها تعصب وتطرف.

٥- إذابة الهوية الإسلامية في هوية أممية عامة لا دين لها.

من وسائل العلاج:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١].

النص صريح في النهي عن موالاة الكفار، وهذا أصل من أصول العقيدة لا يقبل التنازل.

وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ»(١)

المحبة تورث الاتباع، ومن أحب الكفار وتولاهم كان في خطر أن يُحشر معهم.

وسائل عملية للوقاية:

١- تعليم الشباب أن الولاء لله ورسوله والمؤمنين أصل من أصول الدين.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

٢- إحياء قصص الصحابة في البراءة من الشرك وأهله، مثل موقف إبراهيم عليه السلام مع قومه.

٣- بيان أن البراءة لا تعني ظلم الكفار أو خيانتهم، بل العدل معهم مع البغض لدينهم.

٤- رفض كل دعوة لدمج الأديان أو التسوية بينها.

٥- ترسيخ الانتماء للأمة الإسلامية فوق كل انتماء آخر.

فالولاء والبراء سياج العقيدة، وما يفعله الأعداء من محاولات لتغييره أو تحريفه إنما هو هدم لأساس الدين من جذوره.

الخندق الحادي والعشرون: إشغال الأمة بقضايا هامشية

من مكائد الأعداء أن يُغرقوا المسلمين في معارك جانبية وقضايا ثانوية، تصرفهم عن معركتهم الكبرى مع الكفر والباطل.

فتجد كثيرًا من الجهود تُستنزف في خلافات جزئية، ونزاعات شخصية، وجدل عقيم لا طائل تحته، حتى تُترك الأصول وتُنسى القضايا المصيرية. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

في هذه الآية تحذير شديد من النزاع والاختلاف، لأن نتيجته الحتمية ضعف الصف وزوال القوة، وهذا ما يريده الأعداء.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»(١)

الحديث يبين أن الاجتماع على التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة أعظم ما يرضاه الله

---

(١) رواه مسلم (١٧١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

لعباده، وما عداه من الانشغال بالخلافيات والتنازع إنما هو باب فرقة وضعف.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- إثارة النزاعات المذهبية والسياسية والإعلامية بين المسلمين.

٢- تضخيم القضايا التافهة في وسائل الإعلام لتصبح حديث الساعة.

٣- شغل الناس بالترفيه المفرط ومتابعة المشاهير بدل قضايا الأمة.

٤- زرع الحقد بين طوائف المسلمين وإشغالهم ببعضهم.

٥- إحياء العصبيات القومية والقبلية لتطغى على الهوية الإسلامية.

من وسائل العلاج:

الرجوع للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢].

الآية تذكر بأن الأصل أن الأمة جسد واحد، وعبادتها لرب واحد تفرض عليها وحدة الصف.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١)

هذا الحديث يقرر أن المؤمن لا غنى له عن أخيه، وأن قوة الأمة في تماسكها على الحق لا في تفرقها.

(١) متفق عليه عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وسائل عملية للوقاية:

١- توجيه الجهود الكبرى لخدمة القضايا المصيرية كالتوحيد ونصرة الدين.

٢- ترك الجدال العقيم الذي لا يثمر عملًا ولا يرفع جهلًا وتحاكم الجميع للكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

٣- التربية على فقه الأولويات في الدين والدعوة.

٤- نشر الوعي بخطر الإعلام الموجّه لإشغال الأمة بقضايا تفرق الأمة وتضعف وحدتها.

٥- تربية الأجيال على أن العدو الحقيقي هو الكفر والباطل، وبغض من قلدهم وتشبهم بهم وبعض من خالف الحق ودعا إلى غيره من البدع والمحدثات.

الخندق الثاني والعشرون: خندق العزلة والاكتئاب النفسي

من أخطر أمراض العصر التي استغلها الأعداء لإضعاف الأمة مرض العزلة والاكتئاب، حيث يُدفع الشباب والفتيات إلى الانطواء والانسحاب من ميادين الدعوة والعلم وحلقات القرآن والعمل الصالح، بحجة الضغوط النفسية أو الإحباط من الواقع. وهذا يحقق هدف العدو؛ إذ يفرّغ الطاقات ويعزل الأفراد عن التفاعل مع قضايا الأمة الكبرى. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

فالانقطاع عن ذكر الله والإيمان الصادق سبب رئيس للضيق والاكتئاب.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ

الْضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٍ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»(١)

في الحديث توجيه نبوي عظيم إلى دفع اليأس، ومجاهدة النفس، والاشتغال بما ينفع.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- ترويج ثقافة «العيش داخل العالم الافتراضي» والابتعاد عن الواقع.

٢- بثّ الأفلام والموسيقى التي تغذي مشاعر الحزن والانكسار.

٣- جعل الترفيه والإدمان الإلكتروني ملجأً للشباب بدل العمل والإنتاج.

٤- تسويق الأدوية والمهدئات النفسية على حساب العلاج الإيماني والروحي.

٥- عزل الفرد عن الجماعة الصالحة، ليبقى وحيدًا فريسة لأي فكر يجره لأي مستنقع.

من وسائل العلاج:

الإقبال على القرآن والذكر والعبادة، فهي أعظم ما يشرح الصدر ويذهب الهم. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرعد:٢٨].

التمسك بالجماعة الصالحة، وحضور حلق العلم والدعوة؛ فالمؤمن قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

استحضار سنن الابتلاء، وأن الدنيا دار كدر، وأن الفرج مع الصبر، كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(٢)

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٣) وصححه الألباني.

العمل على تغيير نمط الحياة ليكون مليئًا بالنافع من علم، وعبادة، وخدمة، لا بالفراغ والكسل.

وسائل عملية للوقاية:

١- نشر الوعي النفسي الشرعي الذي يربط علاج الهموم بالإيمان والعمل الصالح.

٢- إنشاء مراكز دعوية وشبابية تستوعب الطاقات وتفتح أبواب الأمل.

٣- التربية على التوازن بين مطالب الروح والجسد، والدنيا والآخرة.

٤- الحذر من الإعلام الذي يزرع اليأس ويضخم الفشل ويصور المستقبل مظلمًا.

٥- ربط الشباب برسائل الجهاد والدعوة والصبر على الطريق، ليشعر كل واحد أنه لبنة في بناء الأمة.

الخندق الثالث والعشرون: خندق الذكاء الاصطناعي والتقنية الحديثة

من أبرز الخنادق المعاصرة التي يحاول الأعداء النفاذ منها: خندق التقنية والذكاء الاصطناعي، إذ أضحى وسيلة نافذة للتأثير في العقول وتغيير السلوكيات وتوجيه المجتمعات. لم يعد الأمر مجرد أدوات مساعدة، بل صار عند كثير من الناس مرجعًا في التفكير واتخاذ القرارات، حتى غفلوا أن هذه الوسائل أنها صُنعت بأيدٍ بشرية قد تحمل الانحراف أو التوجه الخفي في الوقوع الشر قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأنعام:١١٦].

فكثير من هذه النظم إنما تعتمد على الظنون والتوقعات، لا على الوحي واليقين.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ

اللهِ»(١)

فالهداية لا تُستمد من آلات أو تقنيات، بل من الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- تسخير الذكاء الاصطناعي لنشر الإلحاد والتشكيك في الدين عبر محتويات مزخرفة.

٢- بث الشبهات عبر المنصات الرقمية حتى تلتبس على العامة.

٣- السيطرة على العقول بتقنية «الخوارزميات» التي توجه ما يراه المستخدم.

٤- الاعتماد الكلي على التقنية في التعليم والفتوى والإرشاد، حتى يُغفل دور العلماء.

٥- إشغال الأمة بالانبهار بالمنجزات التقنية وصرفها عن رسالتها الكبرى.

من وسائل العلاج:

١- غرس اليقين بأن الحق لا يُعرف إلا بالوحي، وأن التقنية مهما عظمت فهي محدودة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

٢- توجيه التقنية لخدمة الإسلام، ونشر العلم النافع، وتسهيل الوصول إلى القرآن والسنة.

٣- التربية على التوازن: الاستفادة من الوسائل دون تعظيمها أو جعلها مرجعًا مطلقًا.

٤- تعزيز مكانة العلماء الربانيين كمصدر للفتوى والهداية، لا الأجهزة والبرامج.

وسائل عملية للوقاية:

١- إنشاء منصات دعوية وعلمية تستثمر الذكاء الاصطناعي في الخير.

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢- نشر وعي الشباب بمخاطر الانبهار المطلق بهذه الأدوات.

٣- إعداد مناهج تعليمية شرعية تدمج التقنية مع غرس العقيدة الصحيحة.

٤- مراقبة المحتويات الرقمية التي يتعرض لها الأبناء، وحمايتهم من الشبهات.

٥- تربية الأمة على أن التقنية وسيلة، وليست غاية، وأنها لا تقوم مقام القرآن والسنة.

الخندق الرابع والعشرون: خندق العلاقات العابرة

من خنادق العصـر التي وقع فيها كثير من الشباب والفتيات: خندق العلاقات العابرة، سواء عبر وسائل التواصل أو عبر صداقات عابرة لا ضابط لها.

فيتعلق القلب بعلاقة سريعة تزول بزوال المناسبة أو بقطع الاتصال، وتبقى آثارها النفسية والدينية. أخطر ما في هذا الخندق أنه يزرع أوهام المحبة بلا أساس شرعي ولا التزام أخلاقي، ويفتح الباب للوقوع في الفتن. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢].

فالمحرمات تبدأ بخطوات صغيرة من تعارف ومراسلة ولقاءات عابرة، ثم تنتهي إلى ما حرّم الله.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»(١)

في الحديث بيان خطورة التهاون في العلاقات بين الجنسين، ولو بحجة الصداقة أو المودة.

(١) رواه الطبراني والبيهقي وصححه الألباني.

من وسائل الأعداء في هذا الخندق:

١- نشر ثقافة «الحرية الشخصية» في العلاقات عبر الأفلام والموسيقى.

٢- تسويق تطبيقات تواصل تُسهل المحادثات المحرمة تحت شعار «التعارف».

٣- تزيين العلاقات غير الشرعية تحت مسمى «الحب البريء».

٤- تصوير الزواج على أنه عبء، والعلاقات العابرة على أنها متعة وتسلية.

٥- إشغال الشباب بالعلاقات الافتراضية حتى يضعف ارتباطهم بالأهل والمجتمع.

من وسائل العلاج:

١- غرس معاني العفة والحياء في النفوس منذ الصغر. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

٢- تبيين أن المودة الشرعية لا تكون إلا في إطار الزواج، وأن ما عداه فتنة.

٣- توعية الشباب بمخاطر العلاقات العابرة على النفس والدين والمجتمع.

٤- إحياء القدوة الصالحة في البيوت والمدارس والمساجد.

وسائل عملية للوقاية:

١- تربية الأجيال على مراقبة الله وخشيته في السر والعلن.

٢- إيجاد بدائل نزيهة للترفيه والتواصل تحفظ الدين والأخلاق.

٣- تشجيع الزواج المبكر وتيسير أسبابه للشباب.

٤- ضبط استعمال وسائل التواصل بالرقابة الشرعية والأسرية.

٥- نشر قصص واقعية تبين عواقب هذه العلاقات، ليعتبر الشباب بها.

الخندق الخامس والعشرون: خندق المنظمات الإغاثية الأجنبية

من أخطر الخنادق التي حُفرت للأمة الإسـلامية، في أوقات ضـعفها وبلدان نكبتها، خندق المنظمات الإغاثية الأجنبية التي تدخل بلاد المسلمين تحت رايات الرحمة والعون، بينما هي في حقيقتها أدوات لزعزعة الدين وإفساد المجتمع.

وكم حذر أهل السـنة السـلفيون وبينوا حقيقتها في كتبهم ومحاضـراتهم، وبيّنوا أن وراء ابتسامات ورحمات القائمين عليها خناجر مسمومة.

هذه المنظمات لم تدخل ببراءة، بل تحمل أجندات خفية. فمنها التنصـيري المرتبط بالكنائس العالمية، ومنها ما هو تابع لأجهزة المخابرات، ومنها ما يسير وفق سياسة الغرب في الهيمنة. فهي ليست عملاً لله، وإنما عمل لسلطان الهوى والسيطرة.

أوجه خطرها

إفسـاد النسـاء: وهو أعظم أبواب الشـر، حيث يُخرجن من البيوت بذريعة اسـتلام المسـاعدات، ويُختلطن بالرجال الأجانب، بل قد تُشـترط الصـور والبيانات، فيُهدر الحياء وتضيع الغيرة.

التنصـير الخفي: توزيع المصـاحف المحرّفة، أو الكتب المسـمومة، أو إشـاعة رموز الصليب، بل وإغراء المحتاجين بالمال ليغيّروا دينهم.

إذلال الأمة وربطها بالعدو: تجعل الفقير ينظر للغربي كمخلّص ومن هنا يبدأ الذم للمسلمين.

إفساد العادات ونشر التبرج: إقامة الدورات المختلطة ومن ثم العمل الجماعي، وتطبيع الناس على قبول ذلك باسم «المدنية والتحضر والتعاون الجماعي.

والخلاصة:

الكفار لا يردون خيرا للإسلام والمسلميين

قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وهذا نص صريح أن مقصدهم الدائم هو صرف المسلمين عن دينهم، بأي وسيلة.

وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[البقرة:١٠٥]

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الصف:٨].

والمنظمات هذه من أخطر أفواههم.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١)

وهؤلاء يستعملون النساء سلاحًا في نشر الفساد، عبر الإغراء والإخراج من البيوت.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في التحذير من موالاة الكفار: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»(٢)

فإذا كان هذا في الإقامة، فكيف بمن يجعلهم أوصياء على قوت المسلمين ودوائهم؟.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

آثارها على المجتمع

١- ضياع الحياء عند النساء والفتيات.

٢- تعلق الفقراء بالكفار والثناء عليهم والدعوة إلى ما هم عليه.

٣- تسلل الفكر الغربي عبر المساعدات.

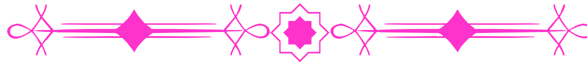
٤- تشويه صورة الإسلام وحملة الدين الذي يحفظ النساء ويصون البيوت.

الخلاصة

هذا الخندق ليس ماليًا ولا اجتماعيًا فقط، بل هو خندق عقدي خطير يُراد به ضرب الإسلام من الداخل. يدخلون بوجه «المعونة» ويخرجون بثمرة «الفتنة»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فليحذر المسلمون من هذا الكمين، وليقم العلماء والمخلصون بسد هذه الثغرة، حتى تبقى الأمة محفوظة بعقيدتها، عزيزة بربها، منيعة أمام مكر أعدائها.

خمسة عشر مفتاحًا من مفاتيح التعامل مع فتن الجوال والمنصات



تمهيد

لم يعد الجوال في زماننا وسيلة ترفيه عابرة أو أداة اتصال بريئة فحسب، بل صار نافذة مفتوحة ليل نهار، يدخل منها الخير والشر، والهدى والفتنة، والسمّ والدواء.

لقد تحوّل بين أيدي الناس إلى رفيق ملازم، يأخذ من أعمارهم، ويقتطع من قلوبهم، ويشكّل عقول الناشئة والكبار على حدّ سواء.

ومَن تأمّل أثر المنصّات أدرك أنها اليوم أخطر من السيوف والرماح؛ فهي تغزو الفكر والروح، وتستبيح الحياء والإيمان، وتفتح أبوابًا من الفتن لم يكن يتخيّلها أسلافنا من قبل.

بل إنك ترى الشاب الطيب والبنت العفيفة ينقلب حالهما بين ليلة وضحاها بسبب مقطعٍ عابر أو متابعة منحرفة أو غفلةٍ صغيرة تُجرّ إلى غفلات.

وإن القلب لضعيف، والشهوة خادعة، والشبهة مزلزلة، ولا نجاة إلا بحصون من الحكمة واليقين. لذلك كان لزامًا على المسلم أن يتعامل مع هاتفه بوعي شرعي، وضبط إيماني، وأن يجعل له قواعد رادعة تحفظ دينه ووقته وعمره.

وقد رأيت أن أجمع هنا عشرة مفاتيح عملية للتعامل مع فتن الجوال والمنصّات، وهي ليست تنظيرًا مجردًا، بل توصيات مجرَّبة، صيغت على ضوء الكتاب والسنة، ليجد القارئ فيها دواءً واقعيًا، يقيه من الانزلاق إلى مهاوي الفتن، ويعيده إلى برّ الأمان.

فليست القضية أن نُحارب التقنية أو نُعادي الوسائل، وإنما القضية أن نُحسن استثمارها،

ونُطوّعها لخدمة ديننا ودنيانا، دون أن نُسلم قلوبنا رهائن للشاشات.

الحقيقة أنه مما يؤلم أنه لم يعد الهاتف في زماننا مجرّد أداةٍ للاتصال، بل صار نافذةً مُشرَعة ليلَ نهار، يطلّ منها الهدى والفتنة، والدواء والداء، ومن لم يُحسن سياسة هذه النافذة، صارت ريحها العاتية تُطفئ سراج قلبه قليلًا قليلًا.

والمنصّات اليوم أخطرُ من أسنّة الرماح؛ إذ تغزو العقول والقلوب، وتستبيح المروءات والحياء، وتستدرج إلى شبهةٍ مُضلِّلة أو شهوةٍ مُهلكة بمقطعٍ عابر ومشهدٍ خاطف.

والقلبُ ضعيفٌ إن تُرك وحده، قويٌّ إذا عُقل بسياج الذكر والحكمة، لذا يحتاج المؤمن إلى قواعد عملية تحكم تعامله مع هاتفه، لا تُخاصم التقنية، بل تُهذّبها، ولا تُحارب الوسائل، بل تُسخّرها لما يُرضي الله.

وهذه المفاتيح الخمسة عشر هي بمثابة الأسوار المنيعة، والأسلحة الوقائية التي من أحسن التزامها وجد الطمأنينة، وقوي إيمانه، وسَلِمَ من كثير من كيد الشيطان وأوليائه. وهي دروع متينة إذا اجتمعت صارت حصنًا حصينًا، فمن أخذ بها نجا، ومن فرّط فيها ذاق مرارة الندم يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

وقد صيغت هذه المفاتيح على هدي الكتاب والسنة، فكانت كالإسعافات العاجلة، يتدارك بها المؤمن نفسه قبل أن يتورط في أبواب الفتن، لتكون له وقايةً سريعة بين يدي «**ميثاق الثبات ودليل النجاة**».

① قطع التيار عند الخطر:

الانسحاب السريع من موطن الفتنة أمان للقلب، فإغلاق الجهاز أو ترك المجلس خير من المجازفة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ»(١)

فالهروب من الفتنة نجاة، كما أن البقاء في موضعها سبب للانخداع، والعاقل لا يجرّب النار بيده.

٢ النية قبل التصفح:

من دخل هاتفه بغير نية وقع في اللهو، فاجعل قصدك نافعًا، وإلا فإغلاقه أفضل، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٢)

فالنية تصرف العادة إلى عبادة، وتجعل أدق الأعمال في ميزان الطاعة، وغيابها يجرّ إلى التيه.

٣ تحديد أوقات واضحة:

من جعل وقته نهبًا للهاتف أضاع عمره، فاضبط الساعات ولا تدخل إلا في وقت معلوم، قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢].

أي يتعاقبان لتدرك قيمة العمر، وتقتطع من الليل والنهار نصيبًا للذكر والعمل الصالح.

٤ التقليل لا الحرمان:

ليس كل منع علاجًا، لكن تقليل الجرعة يحيي القلب ويصون الفكر، فالإفراط يهلك الإنسان ويعطّله، بينما التدرج والتوسط هما السبيل الأمثل للثبات والاستمرار.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣١٩) عن عِمْرَان بن حُصَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري رقم (١) ومسلم رقم (١٩٠٧) عن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥ تصفية المتابعات:

الجوال مرآة قلبك؛ فانظر بمن تقتدي وتتابع، فالمشـاهَد يجرّك إلى مشابهته.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١)

والمتابعات أشبه بالصحبة، فمن تلازم رؤيته يُصبغ قلبك بألوانه شاء أو أبى.

٦ إغلاق الأبواب عند أول فتنة:

الوقوف على أول المعصية بداية الغرق، والسلامة في الحسم من أولها، قال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [سورة الإسراء:٣٢].

فالنهي عن المقاربة أشد من النهي عن الفعل، لأنه يقطع الطريق من بدايته، ويغلق باب التدرج إلى المهلكة.

٧ البدائل النقية:

املأ هاتفك بما يقوي الإيمان من قرآن وذكر ومحاضرات، ليزاحم الباطل في قلبك.

قال الله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [سورة فصلت:٤٤].

فإذا غُذّي القلب بالقرآن، ضعف سلطان الفتنة، ووجدت النفس ما يشغلها عن السوء.

٨ الصمت الرقمي:

خصّص ساعات بلا هاتف، لتتنفس روحك، ويصفو قلبك، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»(٢) فكما أن الصمت عن الكلام يحفظ من الزلل، فالصمت عن الضوضاء

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٠١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الرقمية يحفظ من التشتيت، ويحيي لحظات الصفاء.

⑨ مراجعة الأثر بعد الاستخدام:

اجعل لنفسك ميزانًا: هل زاد إيماني بعد التصفح أم نقص؟ فهذا يحكم على عملك.

قال الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

فالمؤمن يحاسب نفسه على دقائق الأعمال قبل أن يُحاسب عليها يوم القيامة.

⑩ التذكير بالموت والخاتمة:

اجعل هاتفك شاهدًا عليك بخير، وضع فيه تذكيرًا بالآخرة، حتى لا تُقبض على معصية.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»(١)

فالموت يقطع لذّة النظر، ويطفئ سكرة اللهو، ومن استحضره استقام حاله.

⑪ غض البصر الرقمي:

لا تُطل النظر في الصور والمقاطع؛ فإن القلب يتلوّن بما ترى العين، قال الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

فالنظرة سهم مسموم، وقطعها في أوّلها يورث نورًا وإشراقًا في القلب.

⑫ صحبة صالحة على المنصات:

اجعل مجموعاتك وصداقاتك معينًا على الخير، ولا تركن إلى رفقةٍ تجرّك للهو.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(١)

والصحبة في العالم الرقمي مثلها مثل الواقعي، بل أخطر.

⑬ ذكر الله عند الإمساك بالهاتف:

ابدأ كل دخول بذكرٍ يسير، ليكون حرزًا من الشيطان وتثبيتًا للقلب، قال الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

فمن جعل الذكر شعارًا له، طُردت عنه وساوس الهوى.

⑭ تذكير النفس بالرقابة:

ليعلم العبد أن الله مطّلع عليه، لا يخفى عليه ما يفتح وما يغلق، قال الله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

فإذا تيقّن القلب هذه الرقابة، استحيا أن يُسجّل عليه انحراف.

⑮ تحويل الهاتف إلى وسيلة دعوة:

انشر العلم والذكر والموعظة، تكن داعيةً بأصابعك كما أنت بلسانك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(٢)

فمن جعل جهازه منبرًا للحق، بارك الله في وقته، وكان له أجر الدلالة.

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٢) والترمذي رقم (٢٣٩٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (رقم ٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تمهيد جامع قبل ذكر «ثلاثين سببًا للثبات والنجاة»



الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وجعل لنا من كتابه نورًا وضياءً، فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر عباده بالاعتصام بحبله فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي بلّغ البلاغ المبين، وقال لأصحابه محذرًا: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»(١)

أيها المبارك: طريق الإيمان محفوف بالشهوات والشبهات، يزيّنها الشيطان، ويغري بها الهوى، ولا يثبت عليها إلا من أيّده الله بروح منه. ولذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ففي الصبر والمرابطة ملاك الثبات، وفي تقوى الله مفتاح الفلاح.

لقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلّم أصحابه أن الثبات إنما هو عونٌ من الله، لا يناله العبد بذكائه وحده، ولا بقوة عزيمته فقط، بل برحمةٍ يفيضها المولى على من أخلص النية، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان، رقم (١٤٤) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»(١)

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من معرفة أسباب الثبات التي دلّ عليها الشرع، حتى يعمل بها العبد ويجاهد نفسه عليها، فينال عون الله وتوفيقه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد علم السلف أن الفتن كقطع الليل المظلم، فأوصوا طلاب العلم والمصلين بالتزود من الأعمال الصالحة، والاعتصام بالجماعة، والابتعاد عن مظانّ الفتنة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(٢)

ومن هنا جاءت هذه الأسباب، «ثلاثون سببًا للثبات والنجاة بإذن الله»، جُمعت من مشكاة الوحي، وسبيل السلف، وتجارب العلماء والعباد، لتكون عونًا للمؤمن في زمنٍ كثرت فيه الزلازل الفكرية، والفتن الأخلاقية، وتلاعبت فيه الأهواء بالعقول والقلوب.

فهذه السطور القادمة ليست نصائح عامة فحسب، بل هي منهج وقاية، وأبواب نجاة، وبشائر هداية، من عمل بها أكرمه الله بالثبات، ومن أعرض عنها عرّض نفسه للانزلاق في مهاوي الفتن.

نسأل الله أن يجعلها لنا ولكم سُلّمًا إلى رضوانه، ووقاية من سخطه، ونجاة يوم نلقاه

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

(٢) البخاري كتاب الفتن، رقم (٧٠٦٢)، ومسلم كتاب الإيمان، رقم (١١٨).

والآن إليك ما نحن بصدده من ذكر الثلاثين سببا المعينة على الثبات:

(١) الإخلاص لله تعالى:

الإخلاصُ روحُ الأعمال، ومفتاحُ القبول، وسببُ الثبات عند اضطراب الفتن؛ فمن قصدَ وجهَ الله لم تزعزعه أنواءُ الهوى ولا مدحُ الناس وذمُّهم، وهو سياجٌ يحمي القلب من رياءِ المنصّات وطلبِ الظهور؛ فالعين إذا التمعت للخلقِ أظلمت لله، أمّا إذا صفَت لله أضاءت وسكنت.

ومن أخلص استراح؛ إذ لا يُساوم على دينه ولا يتلوّن بحسب التيارات، بل يقف حيث أمر ربّه. والإخلاصُ عملُ قلبٍ دائمٌ يتجدد في كل لحظة، يبدأ من النيّة ويمتدّ إلى كل خُطوة وكلمة ونظرة.

يدلّ على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[(١)]

الإخلاصُ ميزانُ الأعمال؛ كثرتها بلا إخلاصٍ هباء، وقلّتُها مع صدقِ النيّة أثقلُ من الجبال. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤]، وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠﴾ [سورة الصافات: ٤٠].

ومن دواءِ الإخلاص مجاهدةُ القلب ومراقبةُ الله؛ فقد قال سفيان الثوري: **ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليّ من نيّتي**. وكان السلف يخفون أعمالَهم؛ خشيةَ أن يذهب ثوابُها مع ريح السمعة. ومن علاماتِ الإخلاص الثباتُ عند الفتنة؛ لا يبيعُ دينَه بعرضٍ يسير. ويشهد لذلك أيضًا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ،

---

(١) رواه البخاري حديث (١) ومسلم حديث (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ»[(١)]

والإخلاصُ يلدُ الصبرَ واليقين؛ فمَن صحّ قصدُه هوّن الله عليه تركَ المعصية، وأعانه على حملِ الطاعة، وجعل له نورًا يميّز به بين سُبل الحق والهوى.

فليُجَدِّد المؤمن نيّته صباحًا ومساءً، وليقل: اللهم اجعل عملي كلَّه صالحًا، واجعلْه لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

② العلم الشرعي ولزوم غرز العلماء:

العلمُ نورٌ يُجَلّي ظلماتِ الشبهات، وسلاحٌ يمضي على الشهوات؛ لا يثبتُ عند الزلازل إلا مَن عرف الحقَّ بدليله وتمسّك بهديِه، والجاهلُ سهلُ القياد؛ تستخفّه الشائعات وتستدرجه الخوارزميّات، أمّا صاحبُ العلم فيعرف المزالقَ من المعالم.

والعلمُ الشرعيُّ ليس معلوماتٍ متفرّقة، بل فهمٌ عن الله ورسوله، يُثمرُ خشيةً وسكينةً وعملًا، ومن طلب العلمَ على أدبِه ازداد تواضعًا وثباتًا، ووجد للسُنةِ حلاوةً وللطاعةِ لذّة.

يدلّ على ذلك قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهه في الدين»[(٢)] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

العلمُ حِصنٌ في زمن الحرب الناعمة؛ يفرّق بين الشبهةِ والدليل، وبين الزينةِ والحقّ، ومن معالمِه: تعظيمُ النصوص، والرجوعُ لأهلِ الذكر، وحسنُ الفهم عن السلف.

والفقهُ في الدين يُصلح النيةَ والسلوك؛ إذ العلمُ الصحيح يلدُ الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٧٤) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري حديث (٧١) ومسلم حديث (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨]. ومن دلائلِ رسوخِه العملُ بمقتضاه؛ فالعلمُ بلا عملٍ وبالٌ على صاحبه. وفي الحديث: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»(١) وفيه إشارةٌ إلى أن العلمَ يهدي ويُضيء لغيره. ومن آدابه: التلقّي عن الثقات، وتركُ الجرأة على الفتيا، وكفُّ اللسان عن الجدل العقيم. والعلمُ يعالج وساوسَ المنصّات؛ فالشبهةُ تموتُ عند أوّل نورٍ من كتابٍ أو درسٍ موثوق.

ومن لزمَ حلقةَ علمٍ، وقرأ تفسيرًا وحديثًا وفقهًا على شيخٍ متقِن، وعالم أو داعي سلفي وجد أثرَ ذلك في قلبِه سكينةً وثباتًا. فالعلمُ ومجالس أهل السنة بركتهُ عاجلة؛ يبصّرُك بمداخلِ الشيطان وجنوده ويعرّفُك بطرقِ الاستقامة.

ومن هذا الباب ملازمة غرز العلماء الراسخين في العلم تعني القرب منهم، والتلقي عنهم، وحضور مجالسهم، والاستفادة من نصحهم وتوجيههم، فهم ورثة الأنبياء، وقد أمرنا الله بالرجوع إليهم عند الملمات، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [سورة النحل:٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء: ٨٣].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بيّن فضل العلماء فقال: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٢)

وفي حديث آخر: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٣)

وقد كان الصحابة يحرصون على التلقي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم عن كبار

---

(١) رواه الترمذي حديث (٢٦٨٢) عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. فمن علامة الخير ملازمة العلماء والتفقه في الدين على أيديهم.

الصحابة بعده.

فملازمة غرز العلماء تحفظ على المسلم دينه، وتجعله ثابتًا عند الفتن، لا يتخبط مع أهل الأهواء. إذ هم أمان للأمة من الانحراف، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ عُلَمَاؤُهُمْ كِبَارًا، فَإِذَا كَانَ عُلَمَاؤُهُمْ صِغَارًا سُفَهَاءُ هَلَكُوا».

ومن ترك غرز العلماء، وقع في شباك المضللين وأهل الأهواء. قال الإمام أحمد: «النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى العِلْمِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَالعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِعَدَدِ الأَنْفَاسِ».

فالثبات ملازم لمجالس العلماء؛ إذ فيها النور والبصيرة، وفيها الجواب على المشتبهات، وفيها الهداية في الملمات.

③ التمسك بالكتاب والسنة:

العصمةُ في الاعتصام؛ ومن تمسّك بحبلِ الله نجا، ومن تركه تاه في مفارقِ السُّبل، والكتابُ والسُّنّةُ سفينةُ نوحٍ في بحرِ الفتن؛ من ركبها سلِم، ومن تخلّف عنها غرق، والتمسّكُ ليس شعارًا يُرفع، بل اتباعٌ وامتثالٌ ووقوفٌ عند حدودِ الله، وتعظيمٌ لما عظّم الله ورسولُه.

وإذا ادلهمّت الفتنُ رجع المؤمنُ إلى النصوص ومعانيها، وإلى فَهْمِ سلفِ الأمّة؛ فهناكَ اليقينُ والطمأنينة.

يدلّ على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ

مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَاعْضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ»(١)

التمسّكُ بالوحيين يقي من التيه؛ فكلّ طريقٍ يخالفُ نصًّا فهو زائف، وكلُّ شبهةٍ تصطدمُ بآيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ تُردّ. ومن دلائلِ التمسّك: تحكيمُ النصِّ عند الاختلاف؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

والكتابُ والسُّنّةُ شفاءٌ للشبهاتِ والشهوات؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

ومن آثارِ التمسّك: اجتماعُ القلبِ والجماعة، وزوالُ الحيرة، وثباتُ القدمِ على الصراط. وليس التمسّكُ تحجيرًا للعقل بل تحريرٌ له من أسرِ الهوى والتقليدِ الأعمى.

وقد حذّر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الابتداع لأنه بابُ الانفلات؛ «وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢)

ومن علاماتِ صدقِ التمسّك: العملُ بما علمنا، وتعظيمُ السننِ الظاهرة كالمحافظةِ على الصلوات والجُمَع، وكثرةِ الصلاةِ على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وتوقيرِ الصحابةِ والاقتداءِ بهم. ومن جعل القرآنَ وردَه اليوميّ، وسنةَ النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مرشدَه العمليّ، سلم من التجاذب، ورأى الفتنَ صغيرةً أمام نورِ الوحي.

٤ الصبر عند الفتن والمحن:

الصبرُ حِليةُ المؤمن، وهو درعُه عندَ نزول البلاء، فما ثبَت أحدٌ إلا بصبرٍ، ولا انهزم أحدٌ إلا بتركه، والصبرُ ليس جمودًا، بل قوّةٌ في القلب، وضبطٌ للنفس عن الجزع والتسخّط.

---

(١) رواه أبو داود حديث (٤٦٠٧) والترمذي حديث (٢٦٧٦) عن العِرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) رواه مسلم (حديث ٨٦٧) عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والفتنُ تحتاجُ إلى صبرٍ أعظمَ من صبرِ العافية؛ فهو صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على أقدارِ الله المؤلمة. ومن صبرَ اليومَ ساعةً نجا غدًا دهورًا، ومن جزعَ لحظةً خسرَ ثباتَه وأجرَه.

يدلّ على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(١)

الصبرُ يورثُ الثباتَ واليقين، ويورثُ الأجرَ العظيم؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر: ١٠]. وهو وصيّةُ الله لأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

وبالصبرِ يحفظُ العبدُ دينَه وقتَ الاضطراب، ويكفُّ لسانَه عن التبرّم، ويضبطُ جوارحَه عن التخبّط. ومن صبرَ على هجرانِ المعصية أعانه الله، ومن صبرَ على دوام الطاعة وفّقه الله، ومن صبرَ على مرارةِ القدر عجّل الله له الفرج. فالصبرُ زادُ الطريق، وبه تستمرّ الخطى حتى بلوغ شاطئ النجاة.

الدعاء والالتجاء إلى الله:

الدعاءُ سلاحُ المؤمن وملاذُه عند الفتن، به يستمدُّ العونَ والقوّة، وبه يُدفع البلاء قبل نزوله أو يُخفّف بعد وقوعه. ومن أعظم ما يُسأل: الثباتُ على الدين، والعافيةُ من الفتن، والنجاةُ من مضلّات الأهواء. فالدعاءُ برهانُ افتقار العبد إلى ربّه، والله يحبّ المتضرّعين،

(١) رواه أحمد حديث (٢٨٠٣) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وصحّحه الألباني.

ويكشف الكروبَ عن الداعين.

يدلّ على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ...»(١)

والدعاءُ يقي العبدَ من مسالك الشيطان، ويستنزلُ الرحمة، ويردُّ القدرَ بما شاء الله، وفي الحديث: «لَا يُرَدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ»(٢)

فاللجأ إلى الله بالدعاء صمامُ أمان، وهو أيسرُ أسباب النجاة وأقواها.

وكان أكثر دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»(٣)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قَالُوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(٤)

ولهذا كان الأنبياء يدعون لأنفسهم بالثبات قال يوسف عليه السلام داعيًا ربه: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف: ١٠١]. وقال بعضهم: «مِنْ أَعْظَمِ الغُبْنِ أَنْ تُعْطَى الهِدَايَةُ زَمَنًا طَوِيلًا ثُمَّ تُسْلَبُهَا عِنْدَ الْمَوْتِ».

فالمؤمن يلازم الدعاء في كل حال: في السجود، وعند الكرب، وفي الخلوات، وفي أوقات الإجابة، يسأل الله الثبات والهداية، ويستعيذ به من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) رواه أحمد حديث (١٧١٨٢) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي حديث (٢١٣٩) عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسّنه الألباني.

(٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢١٤٠) وأحمد (١٢١٠٧) وصححه الألباني.

(٤) رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٨١٦).

فالدعاء حصن حصين، وسلاح متين، وهو دليل صدق العبودية، وبرهان على ضعف العبد وافتقاره إلى ربه.

٦ تدبر القرآن:

تدبّرُ القرآن حياةٌ للقلوب، ودواءٌ للصدور، وسببٌ للثبات عند مزلزلات الفتن؛ فهو النور الذي أشرقت به الأرض، والحبل المتين الذي من تمسّك به نجا، ومن أعرض عنه غوى وهلك. والتدبّر ليس بكثرة التلاوة دون فهم، بل بالنظر في أوامره ونواهيه، وفي وعده ووعيده، وفي قصصه وأمثاله؛ حتى يصير القرآن قائداً وسراجًا، يضيء الطريق للعبد في ليله ونهاره، ومن جعل القرآن إمامَه لم تزلّ به قدم، ومن أعرض عنه تقاذفته التيارات والأهواء. يدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:٢٩].

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وكان الصحابةُ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فيجتمع لهم العلمُ مع العمل جميعًا.

والقرآن أعظم وسيلة للثبات، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، من تمسّك به عصمه الله، ومن أعرض عنه هلك.

فالفتن إذا أقبلت أظلمت القلوب، ولا يبدّد ظلامها إلا نور القرآن، فهو شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين. ومن جعل له وردًا من القرآن وتدبّره عاش في أنوار الهداية، واستقامت جوارحه على الطاعة.

قال الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١].

وقال جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [سورة الفرقان: ٣٢].

وفي السُّــنّة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَـفِيعًا لأَصْحَابِهِ»(١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»(٢)

وكان الصــحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرون أن التدبّر والعمل بالقرآن هو ســرّ الثبات؛ فالقرآن حياة القلب، ودوام تلاوته وتدبره سبب لحفظ العبد من الفتن، ونجاته من الشبهات والشهوات، وهو أعظم ما يُعينه على الثبات حتى يلقى الله.

ومن دواء الغفلة أن يخصّ المؤمن وقتًا يوميًّا يتلو فيه القرآن بتأنٍّ وتفكّر، يربط قلبه بالله، ويســتفتح به نهاره، ويختم به ليله. فبالقرآن يثبت العبد عند الفتن، ويســتنير قلبه عند ظلمة الشبهات، ويجد فيه برد الطمأنينة حين تضطرب القلوب.

فليكن للمؤمن وردٌ ثابتٌ من التلاوة والتدبّر، يسأل الله به الفتح والفهم والهداية.

⑦ الصحبة الصالحة:

الصُّــحبةُ الصــالحة ســياجٌ منيع في زمن الفتن، وهي بعد توفيق الله من أعظم أســباب الثبات على الدين، فالقلب ضــعيف بمفرده، قوي بإخوانه، ومن خالط الأخيار رُفع، ومن جالس الأشرار وُضع.

فالصــاحب مرآةُ صــاحبِه، والقلوب تتأثر بالمجالســة أكثر مما تتأثر بالمواعظ، وإذا كان الإيمان يزيد بالطاعة؛ فإن الصــداقة الصــالحة من أعظم أبواب الطاعة؛ لأنها تذكّر بالله،

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتحثّ على الخير، وتنهى عن الشر.

يدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، فأمر الله نبيَّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ أن يلزم أهل الذكر والطاعة، وفي هذا أعظم شاهد على أثر الصحبة الصالحة.

وقال تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

وجاء التحذير من ضدّ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٨].

فالخليل الفاسد يردي صاحبَه في النار، والخليل الصالح يرفع صاحبَه إلى أعلى الدرجات.

وفي السُّنّة قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١)

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ؛ فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(٢)

وكان السلف يوصون بالصحبة الصالحة؛ قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ، تَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعَدَّةٌ عِنْدَ البَلَاءِ».

وقال بعضهم: «إِنْ لَمْ تَجِدْ أَخًا يُعِينُكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ فَاعْلَمْ أَنَّ وَحْدَتَكَ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عند أبي داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وصححه الألباني.

(٢) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عند البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨).

السُّوءِ».

ومن علامات الصحبة الصالحة أنها تعين على طاعة الله، وتنهى عن المعصية، وتذكّر بالله عند الغفلة، وتواسي عند الشدّة، وتُسند عند الضعف.

ومن أدويتها أن يحرص المؤمن على مجالس الذكر، وحلق العلم، ومجالس القرآن؛ ففيها تُبنى القلوب، وتُغذّى الأرواح، وتُصان الجوارح عن الانحراف.

فالصحبة الصالحة ليست ترفًا ولا عادة اجتماعية، بل هي عبادة عظيمة وركيزة أساسية في الثبات، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُغْبَطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ... هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ»(١)

فليحرص المؤمن أن ينتقي أصدقاءه كما ينتقي طعامه، بل أشد؛ فإن الطعام يؤثر على الجسد ساعة، وأما الصديق فيؤثر على القلب عمرًا. والصحبة الصالحة سبب لحسن الخاتمة؛ إذ تذكّر بالجنة والعمل لها، وتعين على الصبر في طريقها، وتشدّ اليد إذا ضعفت، وتضيء الطريق إذا أظلم. فهي نعمة من أعظم نعم الله، تستوجب الشكر، وتستحق أن يُسأل الله دوامها.

⑧ اليقين والرضا بقضاء الله:

اليقين والرضا من أعظم أسباب الثبات في زمن الفتن، فالمؤمن يعلم أن ما قدّره الله لا يُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسكن قلبه ويثبت على طاعة الله. واليقين نورٌ في القلب، يبدّد ظلام الشكوك والوساوس، والرضا يورث الطمأنينة والسكينة، فلا يزعزعه

(١) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند أحمد (٢٢٠١٨) وحسنه الألباني.

تهديد ولا يغريه وعدٌ زائف.

ويدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعض السلف: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦].

فالرضا والتسليم سبب للبشارة والهداية.

ومن السُّنّة: ما رواه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال له: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»(١)

وجاء عن صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»(٢)

وهذا الحديث يجمع بين مقام اليقين والرضا، إذ يرى المؤمن الخير في كل قضاء.

فالرضا بالقضاء لا يعني الاستسلام للكسل، بل يعني طمأنينة القلب مع بذل السبب؛ فمن أيقن أن رزقه مكتوب لم يجزع من قلة ذات اليد، ومن أيقن أن الأجل بيد الله لم يخف من تهديد المخلوقين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) وهذا أصل عظيم في باب اليقين.

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وهذا المعنى هو الذي ثبّت الصـــحابة في الفتن؛ فقد واجهوا المحن والابتلاءات بقلب راضٍ مطمئن. ولما طُعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَوْتِي عَلَى يَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ»(١)

فكان راضيًا مسلّمًا لما قدّر الله.

فالواجب على المؤمن أن يتعلّم هذا المقام، ويملأ قلبه باليقين والرضا، فإنه زاد الثابتين، وراحة العابدين، وملاذ الخائفين، وبه تســتقيم الحياة، ويثبت المرء عند البلاء، ويخرج من الدنيا بقلب سليم.

⑨ كثرة ذكر الله تعالى:

الذِّكر حصــن حصــين للمؤمن في زمن الفتن، فهو حياة القلوب، ودواء الغفلة، وســلاحٌ يُثبِّت عند المِحن. ومن لازم الذكر قوي قلبه، واطمأن فؤاده، وتقرّب من ربّه، فلا تزعزعه الدنيا ولا تجرّه الشهوات.

ويدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨].

فطمأنينة القلب من أعظم أسباب الثبات، وهي ثمرة الذكر.

وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فمن أراد أن يذكره الله في الملأ الأعلى فليُكثر من ذكره وهذا يعني الإحاطة له ولقرب منه قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:١١]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا

(١) انظر «فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب» (١/ ٢٨١).

عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»(١)

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، قَالُوا: «وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»(٢).

والذكر أوسع من مجرد التسبيح باللسان؛ فهو يشمل الصلاة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والتسبيح، والاستغفار، والتكبير، وكل ما يقرّب العبد من الله.

وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحرص الناس على الذكر؛ قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٣)

وجاء عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ: «وَكَيْفَ يَكْسِبُ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(٤)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟». فالقلب الذي يفارق الذكر يضعف ويهلك(٥).

وكثرة الذكر في زمن الفتن أعظم حماية؛ فعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه إلى النبي – صَلَّى اللهُ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٣) رواه أبو داود (١٥١٦).

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٨).

(٥) انظر «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ١١١) ط العلمية.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِن ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى».

قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا أَنْ يُضْرَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ»(١)

ومن أعظم الأذكار التي تحفظ من الفتن: أذكار الصباح والمساء، وأذكار الصلاة، ودعاء الكرب، والمواظبة على الاستغفار. فهي سور واقٍ للمؤمن في ليله ونهاره.

فالذكر ليس نافلة ثانوية، بل هو حياة القلوب، ومفتاح الثبات، وحصن الإيمان. ومن أراد أن ينجو في زمن الفتن فليلزم لسانه وقلبه بذكر الله، وليكن ليله ونهاره عامرًا بالتسبيح والتحميد والتهليل، فإن الله يذكره، ومن ذكره الله فلا خوف عليه.

⑩ الزهد في الدنيا والتقلل منها:

الدنيا فتنة عظيمة، ومن أكثر أسباب الانحراف والانشغال عن الله، وقد حذّر الله منها عباده وجعلها مزرعة للآخرة لا موطن إقامة. فالزهد فيها والتقلّل منها من أعظم أسباب الثبات، إذ لا يُفتن من لا يحرص عليها، ولا يُغلب من جعل همّه في الآخرة.

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠]، فبيّن الله حقيقتها وأنها فانية.

وقال سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧].

ومن السُّنّة: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(١) وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٠٥).

بمنكبيّ فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»(٢)

وعن المستورد بن شداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»(٣)

والزهد ليس ترك المال مطلقًا، وإنما حقيقته: أن يكون المال في اليد لا في القلب، وأن يكون العبد شاكرًا إذا أُعطي، صابرًا إذا مُنع، مجتهدًا في الطاعة لا تشغله زخارف الدنيا.

فالزهد يورث طمأنينة، ويجعل العبد ثابتًا عند الفتن، لا يبيع دينه بعرض قليل من الدنيا، ولا يتنازل عن مبادئه لمصلحة زائلة.

وقد جاء في الحديث: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»(٤)

فالزهد باب محبة الله وسبب الثبات، ومن قلّ حرصه على الدنيا عظُم حرصه على الآخرة. ومن علم فناء الدنيا لم تغره، ومن أيقن ببقاء الآخرة لم يزهد فيها.

١١ المداومة على الطاعات والنوافل:

من أعظم أسباب الثبات على الدين أن يداوم العبد على طاعة الله، فرضًا كانت أو نافلة، فإن القلوب تحيا بالطاعة وتموت بالمعصية، والنفس إذا اعتادت الخير ألفته واستساغته،

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٥٣)

كما أن الانقطاع عن الطاعة يورث قسوة وغفلة. والمداومة دليل صدق القلب، وبرهان على محبة الله.

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فجعل الهداية ثمرة المجاهدة والمداومة.

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، فأمر بالاستمرار في العبادة حتى الموت.

ومن السنة: قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[(١)]

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[(٢)]

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ»[(٣)]

فالمداومة على الذكر، والصلاة، وقراءة القرآن، وقيام الليل، وصيام النوافل، والصدقات، تجعل القلب دائم الصلة بالله، وتقيه الغفلة والانحراف، وتجعل للعبد رصيدًا من الإيمان يثبته عند الفتن.

ومن الأدلة أيضًا قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٥) ومسلم (٧٨٣) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

(٢) رواه البخاري (١١٥٢) ومسلم (١١٥٩).

(٣) رواه مسلم (٧٨٢). عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(١)

فالمداومة على الوضوء، والصلاة، وسائر الأعمال الصالحة، تحفظ الإيمان وتزيده، وتُقرّب العبد من محبة الله، وتجعله ثابتًا في وقت المحن.

⑫ كثرة التوبة والاستغفار:

من أعظم أسباب الثبات أن يكون العبد أوّابًا رجّاعًا إلى ربّه، كلما وقع في ذنب بادر إلى التوبة، وكلما غفل أسرع بالاستغفار.

فإن القلوب تُثبَّت بالقرب من الله، ولا شيء يجلب قربه مثل التوبة النصوح. ولو أن الناس عصموا لما بقي للتوبة معنى، ولكن كمال العبد أن يُذنب فيتوب، ويخطئ فيرجع، ويضعف فيستغفر.

يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وفي السنة: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢)

وعن الأغر المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٣)

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٧) عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٢٣٢)

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢).

وجاء في الحديث: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»(١)

فهذا عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان يعدّ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٢)

وكان الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ يقول: «أَكْثِرُوا مِنَ الاسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَأَسْوَاقِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ».

فالتوبة تجلو القلب، وتزيل الران، وتفتح باب الثبات، وتطفئ نار الذنوب التي تحرق الإيمان. وهي صمام أمان للعبد؛ إذا زلّ لم ينقطع، وإذا ضعف لم ينكسر، بل يعود أقوى مما كان.

⑬ الخوف من الله تعالى ومراقبته:

من أعظم ما يثبّت القلوب استحضار مراقبة الله، والخوف منه سبحانه في السر والعلن؛ فمن خافه في الدنيا أمّنه يوم القيامة، ومن راقب نظره إليه عصمه من الانزلاق في الفتن. فالخوف يردع النفس، والمراقبة تحفظ القلب، ومن اجتمعا له استقام على الصراط.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [سورة النازعات: ٤٠-٤١].

وفي السنة: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ... وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢١٩).

(٢) رواه أبو داود (١٥١٦) والترمذي (٣٤٣٤).

خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أَخَافُ اللهَ»(١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(٢)

وقد قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(٣)

وكان السلف إذا ذكروا الله ارتعدت قلوبهم وخافوا من سوء الخاتمة، فزادهم ذلك ثباتًا واستقامة. قال الحسن البصري: «الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلٌّ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ».

فالخوف من الله والمراقبة الدائمة تجعل المؤمن حذرًا من الزلل، ثابتًا أمام المغريات، متذكرًا أن الله يراه ويسمعه، وهذا من أعظم مفاتيح الثبات في زمن الغفلة.

(١٤) التقوى والعمل الصالح سرا وعلانية:

التقوى هي جماع الخير وأصل الثبات، وهي أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره وترك نواهيه.

ومن أعظم ما يعين على الثبات أن يكون العمل لله خفيًّا وجليًّا؛ فإذا خلا المؤمن بنفسه ولم يزل ذاكرًا لله، كان أبعد عن الرياء وأقرب إلى القبول.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦). وهو تذكير بالخوف من الله والتهيؤ للقاءه.

[الأحقاف: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

وفي السنة: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١)

فالتقوى والعمل الصالح في السر والعلن يُورثان ثباتًا على الطاعة، ومحبة في القلوب، وسكينة في الصدر، ويكونان سببًا للنجاة من الفتن، كما قال الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢].

⑮ قيام الليل وكثرة السجود:

قيام الليل شرف المؤمن، وهو من أعظم أسباب الثبات على الدين، لأن فيه خلوة بين العبد وربه، ووقت السحر حين ينزل ربنا سبحانه نزولًا يليق بجلاله، فيفتح أبواب الرحمة ويستجيب الدعاء. وكثرة السجود من أحب القربات، وهي أبلغ ما يكون في إذلال النفس لله تعالى، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٤٨٢).

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٣-٦٤].

وقال سبحانه مادحًا أهل القيام: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (١٩٨٧).

وفي السنة قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»(١)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»(٢)

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «ما أعلم شيئًا أشد على النفس من قيام الليل، لكنه شرف المؤمن في الدنيا، ونجاة له يوم القيامة».

فمن حافظ على قيام الليل وكثرة السجود، ثبّت الله قلبه على الحق، ونوّر بصيرته، وحفظه من الفتن؛ إذ هو من الذين قال الله فيهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

⑯ شكر نعم الله وعدم البطر بها:

إن من أعظم أسباب الثبات على الدين: أن يعرف العبدُ نعم الله عليه، ويقوم بشكرها حق الشكر. فالشكر يحفظ النعم، ويزيدها، ويورث محبة الله، ويقي العبد من الكفر والضلال. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]. فالوعد بالزيادة مع الشكر صريح، والوعيد بالشدة مع الكفر كذلك.

وقال سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]، أي اعملوا صالحًا شكراً لله، فالشكر عملٌ بالجوارح، وليس مجرد قول باللسان. ولهذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٣)

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (١١٦٣).

(٢) متفق عليه عند البخاري (١١٥٢) ومسلم (١١٥٩).

(٣) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عند أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣) وصححه الألباني.

والشكر يكون بالقلب اعترافًا، وباللسان ثناءً، وبالجوارح عملاً. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، فجمع بين القول والعمل. وفي السُّنّة قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عند البخاري (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣).

ومن أعظم صور الشكر: استعمال النعمة في طاعة الله، وحفظها عن المعصية، فمن استعمل ماله في الصدقة والطاعة فقد شكر، ومن استعمل بدنه في العبادة فقد شكر، ومن استعمل علمه في الدعوة فقد شكر. ولهذا قال بعض السلف: «الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة».

وفي الحديث عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟»(١)

وهذا يدل على أن الشكر يكون بالعمل الصالح، ولو كان صاحبه قد غفر له، فكيف بمن دونه؟

وجاء التحذير من بطر النعمة في قوله تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨]، فبطر النعمة، ونسبها إلى نفسه، فخسف الله به وبداره الأرض. وفي هذا أعظم شاهد أن من لم يشكر النعمة، بل بطرها ونسبها لغير الله، كانت سبب هلاكه.

ومن دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا،

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠).

لَكَ مُطَوَّاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا»(١)

هذا تعليمٌ للأمة أن تلزم باب الشكر، فهو حصن منيع في الفتن.

فالعبد الشكور ثابت على دينه؛ لأن قلبه ممتلئ بالاعتراف بفضل الله، ولسانه رطب بذكره، وجوارحه عاملة بطاعته. ومن فقد الشكر؛ تسلّط عليه الشيطان، فأوقعه في الكفران، ثم في الانحراف والخذلان.

ولهذا كان الشكر طريق الأنبياء والصالحين، وقد وصف الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

⑯ محاسبة النفس ولزوم التوبة:

من أعظم أسباب الثبات على الدين: أن يُحاسب المرء نفسه دائمًا، ويرجع بالتوبة إلى الله عند الزلل. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. فهذا أمرٌ بالمراجعة والمحاسبة، وأن ينظر العبد في أعماله قبل أن يُعرض على ربه.

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فالمداومة على التوبة سبب لمحبة الله، ومن أحبّه الله ثبّته على الصراط المستقيم.

وفي الحديث عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ...» الحديث(٢).

---

(١) رواه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عند النسائي (١٣٠٤) وأحمد (٢٠٥٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٦). فهذا الذكر تعليمٌ للأمة بلزوم التوبة والرجوع.

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون»(١) فليس الثبات في العصمة من الذنوب، ولكن في سرعة الرجوع عنها.

وقد أثنى الله على عباده بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فمدحهم بمحاسبة أنفسهم والرجوع إليه فور الذنب.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم». وهذا مأخوذ من نور الوحي، فهو طريق أهل البصيرة.

ومن صور محاسبة النفس: أن يسأل العبد نفسه قبل كل عمل: هل هو لله؟ هل وافق السنة؟ هل فيه نفع للآخرة؟ فإن كان كذلك مضى، وإلا توقف. وهذه المحاسبة تحفظ الدين.

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزِعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُو قَلْبَهُ الرَّانُ»(٢) فالمحاسبة تُصقل القلب وتمنع الران.

والتوبة لا تقتصر على الكبائر، بل يحتاج إليها العبد في الصغائر والغفلات. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٣)

ومن لزم التوبة؛ بورك له في عمره وعمله، وثبّته الله عند الموت. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]. والاستقامة لا تكون

---

(١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٤) والترمذي (٣٣٣٤) وحسنه الألباني.

(٣) رواه الأغر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم (٢٧٠٢).

إلا بالمحاسبة والتوبة.

فمن أراد الثبات فليُكثر من مراجعة نفسه، وليتخذ التوبة جسرًا إلى الله في كل حين، فهي دواء الذنوب، ومفتاح القلوب، وسرّ القبول.

⑰ الاستقامة ولزوم طاعةِ الله:

الاستقامة هي لزوم الصراط المستقيم، والثبات على طاعة الله ظاهرًا وباطنًا، وهي جماع الخير كلِّه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: ٣٠]. فالمُستقيم يُبشَّر بالجنة عند الموت، لأنه ثبت على الطاعة.

وقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]. فجمع بين الأمر بالاستقامة والاستغفار، لأن العبد قد يقع في التقصير، فشرع له الاستغفار ليبقى ثابتًا على الطريق.

وفي صحيح مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ».

فالاستقامة ثمرة الإيمان.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب». أي تثبت على الحق ولا تتلون.

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالاستقامة ولو مع قلة العمل، فقال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا

---

(١) رواه أحمد (٢١٤٤٩) وابن ماجه (٢٧٧) عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْتَيْهِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مَفْتُوحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعُوجُوا...»(١) وهذا المثل بيّن أن الاستقامة هي لزوم الصراط وترك الميل إلى أبواب المعاصي.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مُتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تَبْغِضُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ عِبَادَةَ اللهِ»(٢) والمعنى أن الاستقامة تحتاج إلى تدرج وثبات دون إفراط ولا تفريط.

والصحابة كانوا مثالًا للاستقامة؛ فقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا، وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(٣).

فالاستقامة جماع الدين، ومن أعظم أسباب الثبات عند الفتن، وهي وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأمته

(١٨) ترك المعاصي والذنوب:

المعاصي سبب عظيم في زيغ القلوب واضطرابها، والطاعة سبب في ثباتها ونورها. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، فبيَّن أن الميل عن الطاعة يجرّ إلى زيغ القلوب والحرمان من الهداية.

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٨٢) والترمذي (٢٨٥٩) وحسنه الألباني.

(٢) رواه أحمد (٦٥١٨) والطبراني وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٤١٤٢).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣].

والمعنى أن الذنوب توجب الطبع على القلب، فيعجز عن الفقه والتثبيت.

وفي الصحيحين عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٌ أَبْيَضُ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»(١).

وهذا الحديث يبين أن المعاصي تورث سواد القلب حتى ينقلب عن الحق.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبَغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ».

وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالَ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قال ثوبان: «يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، أَلَا نَكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؟» قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٤٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) وصححه الألباني.

وقد جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾» [المطففين: ١٤](١).

ولذلك قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ هَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، وَطَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، فَإِنَّ ذُنُوبَهُمْ لَأَهْوَنُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى ظُهُورِهِمْ».

فالذنوب تجرّ إلى ضعف الإيمان، وتعرّض صاحبها للانتكاس، أما تركها فهو طريق للثبات والنجاة.

فالثبات لا يُنال إلا بسلامة القلب والجوارح من الذنوب، فإن المعصية باب إلى معصية أعظم، وهي سبب للخذلان، كما أن الطاعة سبب للتوفيق والثبات.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. والتقوى معناها ترك المعاصي، فمن اتقى الله ثبّته ونجّاه.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفي السنة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»(٢)

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نُهِيتُم عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أُمِرْتُم بِأَمْرٍ فَآتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٣)

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤).

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧). عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال بعض السلف: «الْمَعْصِيَةُ بَرِيدُ الْكُفْرِ». أي طريق إليه.

فمن أراد الثبات، فليجتنب الصغائر قبل الكبائر، وليغلق أبواب الفتن قبل أن يُفتن، فإن القلب ضعيف والفتنة خطّافة.

فالطاعة تحفظ النور في القلب، والمعصية تُظلم الطريق وتزيل البركة. والثبات لا يجتمع مع الإصرار على الذنوب، كما قال الحسن البصري: «مَا نُزِعَ عَنْ عَبْدٍ عِلْمٌ إِلَّا بِذَنْبٍ أَحْدَثَهُ».

⑲ تذكر الموت والآخرة:

تذكّر الموت والدار الآخرة من أعظم ما يثبّت القلوب على الحق ويمنعها من الانجراف مع الفتن والشهوات، إذ من استحضر قرب الرحيل وخاف الحساب استقام قلبه ولسانه وعمله. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]. وهذه آخر آية نزلت من القرآن، لتذكّر العبد بمصيره.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِن ذِكْرِ هَادِمِ

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

اللَّذَّاتِ: الْمَوْتِ»[١] يعني الموت. والحديث فيه إشــارة إلى أن الإكثار من تذكر الموت يقصّر الأمل ويبعث على العمل ويمنع من الغفلة.

وقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[٢] فمن استحضر هذه الحقيقة خاف أن يُقبض على معصية، فثبت على الطاعة.

وكان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقُبُورِ بَكَى حَتَّى تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُــولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ»[٣].

وقد قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَوْتُ فَضَحَ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَتْرُكْ لِذِي لُبٍّ فَرَحًا».

إن اسـتحضـار الموت يجعل المؤمن ثابتًا على طاعة ربه، زاهدًا في زخارف الدنيا، مقبلاً على ما ينفعه بعد رحيله، خائفًا أن يدركه الموت على غفلة، فيستعدّ بالعمل الصالح، ويبتعد عن أسباب الانتكاس.

التواضع وترك الكبر:

التواضــع خُلُق عظيم يُثبّـت الإيمـان، ويقي القلـب من الانحراف؛ إذ الكبر من أعظم

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٧) والنسائي (١٨٢٤) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وحسنه الألباني.

أسباب الهلاك، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(١) فالمتكبر يزدري الحق ويحتقر الخلق، فيُعرض عن قبول الهدى، بخلاف المتواضع، فإنه قريب من الناس، قريب من رحمة الله.

ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وفي السنة كذلك، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٢) فالتواضع يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ويجعله ثابتًا على الطاعة غير متأثر بزخارف الدنيا ولا مدح الناس أو ذمهم.

وكان السلف يعدّون التواضع زينة العلم والعمل؛ قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «رَأْسُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا فَضْلَ لَكَ عَلَيْهِ».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِ، وَوَلِّهِمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ».

فالتواضع يحمي من فتنة الرياء، ويقي من حب الظهور، ويجعل المؤمن أقرب إلى قبول النصيحة والتوبة. وهو سبب عظيم للثبات؛ إذ القلب إذا سلم من الكبر والخيلاء، انفتح للحق وانقاد له بلا تردد.

(١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٩١).

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٥٨٨).

(٢١) الجهاد في سبيل الله بضوابطه:

الجهاد في سبيل الله ليس مجرد قتال بالسيف، بل هو منهج حياة، يجمع بين جهاد النفس، وجهاد الدعوة، وجهاد الحجة، ثم جهاد السلاح عند الحاجة. وهو من أعظم ما يثبت القلوب، لأن فيه مواجهة حقيقة بين الحق والباطل، ولأن المجاهد يخرج من بيته لا يبتغي إلا وجه الله، تاركًا الدنيا وراء ظهره.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]. فالثبات في ميدان الجهاد من أعظم ميادين الثبات.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وهذه بشارة بأن المجاهد إذا أخلص لله ثبت الله قلبه، وفتح له أبواب الهداية والنصر.

ومن السنة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَنَ»(١) فانظر كيف جعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مجرد المرابطة في سبيل الله سببًا لحماية القلب والقبر من الفتن.

وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٢)

---

(١) رواه مسلم (١٩١٣).

(٢) البخاري (٢٧٨٥)، مسلم (١٨٧٨).

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يضربون أروع الأمثلة في الثبات يوم الجهاد؛ ففي بدر قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال عمّي أنس بن النضر: «**وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ، إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَهَا دُونَ أُحُدٍ» فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدُوا فِيهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ وَضَرْبَةِ سَيْفٍ، فَمَا عُرِفَ إِلَّا بِبَنَانِهِ**»(١)

فهذا الثبات لم يكن إلا باليقين بوعد الله.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنا قوم أعزّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله». ومن أعظم عز الإسلام الجهاد في سبيل الله.

وجاء في الأثر أن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «**إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ، فَيَسْفُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ، أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا، وَأَهْلُ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ، كَذَلِكَ كَانُوا حَتَّى لَحِقُوا بِرُكْبِ الْقَوْمِ، فَوَا خِجْلًا إِذَا مَا قِيلَ لَهُمْ: أَذَهَبْتُمْ مَا ادَّخَرْتُمْ بِالرُّبُوعِ!**» وهؤلاء هم المجاهدون الصادقون.

فالجهاد مدرسة للتثبيت، يربّي النفس على الصبر، ويعلّمها أن الدنيا فانية، وأن النصر من عند الله، وأن القلوب لا تثبت إلا إذا باعت الدنيا بالآخرة. ومن تذوّق حلاوة التضحية في سبيل الله، لم يزعزعه خوف ولا تهديد.

٢٢ الرجاء في رحمة الله وحسن الظن به:

إن من أعظم ما يثبت القلوب في طريق الإيمان أن يعيش المؤمن بين الخوف والرجاء، فإذا غلب جانب الرجاء أورثه ثقةً بالله، وتوكلاً عليه، وصبرًا عند البلاء، وثباتًا عند الفتن. فمن علم أن الله رحيم بعباده، غفور لمن تاب، وأن رحمته سبقت غضبه، استقرت قدمه

(١) رواه مسلم.

على الطاعة ولم تيأس نفسه عند التقصير.

قال الله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [سورة الحجر:٤٩].

وهذه الآية تبعث الأمل في النفوس، وتدفعها للاستمرار على الإيمان.

وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي لا يخرج أحد عن رحمة الله إلا من أعرض واستكبر.

ومن السنة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلِيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[١] وهذا أصل عظيم في باب الثبات، إذ أن حسن الظن بالله يحجز المسلم عن القنوط واليأس، ويجعله ثابتًا مطمئنًا.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ»[٢] فهذا توجيه نبوي أن يكون الرجاء حاضرًا عند أصعب اللحظات، فكيف بسائر الحياة؟

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئًا شَرًّا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ باللهِ».

وقد روي عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «الْمُؤْمِنُ أَحْسَنُ النَّاسِ عَمَلًا وَأَشَدُّهُمْ خَوْفًا، وَأَحْسَنُهُمْ رَجَاءً». فالرجاء يمدّه بالقوة على الطاعة، ويمنعه من الانكسار عند المعصية، ويحفظه ثابتًا على الجادة.

إن الذي يرجو رحمة الله يعلم أن له ربًا يجيب دعاءه، ويغفر ذنبه، ويقبل توبته، فيثبت

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

قلبه على طريق الطاعة. أما القانط فيسقط سريعًا عند أول فتنة.

ولهذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي»(١)، وهو دعاء جامع بأن الرحمة هي مفتاح الثبات.

فمن رجى رحمة الله ثبت قلبه عند البلايا، ولم تضره وساوس الشيطان، لأنه يوقن أن وراء البلاء فرجًا، ووراء الضيق سعة، وأن رحمة الله أقرب إليه من نفسه.

(٢٣) محبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

إن أعظم ما يثبّت القلوب ويقوّي الإيمان أن يمتلئ القلب بمحبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالمحبّة هي أصل كل عمل صالح، وبها يتحقق الإخلاص، ويهون على العبد التعب، وتزول عنه مشقّات الطريق. ومن أحب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قدّم أوامرهما على هواه، وثبت عند الفتن والشهوات.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فجعل الله علامة صدق الإيمان أن يكون حبّه أعظم من كل حب.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل الاتباع ثمرة الحب ودليله.

ومن السنة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢) فدلّ الحديث على أن محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أصل في الإيمان، وسبب عظيم للثبات.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير».

(٢) رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١)

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ٱعْبُدُوا اللهَ وَأَحِبُّوهُ، فَإِنَّ مَحَبَّتَهُ أَيْسَرُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، وَطَاعَتُهُ تَجُرُّكُمْ إِلَى مَحَبَّتِهِ».

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمَالِي، وَمِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ عَلَى ٱلظَّمَإِ».

والمحبة الصادقة ليست دعوى باللسان، بل اتباع بالأعمال، وصبر على الطاعة، ورضًا بالقضاء، وثبات عند الابتلاء. ولهذا قال بعض السلف: «المَحَبَّةُ نارٌ فِي القَلْبِ، تُحْرِقُ كُلَّ مَا سِوَى مُرَادِ اللهِ».

فمن أحبّ الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدقًا، ثبّت الله قلبه على الدين، لأن الحبيب لا يعصي محبوبه، ولا يقدّم أحدًا عليه.

(٢٤) كثرة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

من أعظم أسباب الثبات على الدين والنجاة من الفتن: الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فهي سبب لرفعة الدرجات، وغفران السيئات، وصلةٍ بين العبد وربه، وتجديدٍ للعهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسنّته.

وهي أيضًا باب عظيم لنزول الرحمة والسكينة على القلب، ومن ثَمَّ قوة الثبات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(١)

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»(٢) فدلّ الحديث على أن الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أسباب القرب منه يوم القيامة، ومن كان قريبًا من نبيه كان ثابتًا على سنته.

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قال رجلٌ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أُكثِرُ الصَّلاةَ عليك، فكم أجعَلُ لك مِن صَلاتي؟ قال: «ما شِئْتَ».

قال: الرُّبُعُ؟ قال: «ما شِئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك».

قال: النِّصْفُ؟ قال: «ما شِئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك».

قال: أَجْعَلُ لك صَلاتي كُلَّها؟ قال: «إذًا تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرْ لك ذَنْبُكَ»(٣)

وكان السلف يكثرون من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مجالسهم وأسفارهم، ويرونها حصنًا من الغفلة والزلل.

قال ابن القيم: «الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تجلب للقلب نورًا، وللروح حياةً، وللعبد ثباتًا على طريق الهدى».

ومن آثارها أنها تعمّق المحبة في القلب، وتقوّي الصلة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتغرس التعلّق بسنّته. فمن أكثر منها ثبّته الله، وجعل لسانه عامرًا بالذكر، وقلبه متعلّقًا بخاتم

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٤٨٤) وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٧) وحسنه الألباني.

النبيين.

بر الوالدين وصلة الأرحام:

برّ الوالدين وصلة الأرحام من أعظم أسباب الثبات على الدين، فإن دعوة الوالدين مستجابة، ورضاهما بركة في العمر والعمل، ومن عقّهما حُرم التوفيق، ومن برّهما كان أقرب لرحمة الله. والرحم شُجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

فجمع بين التوحيد وبرّ الوالدين، مما يدل على عظيم مكانته.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وجاء التحذير من العقوق في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي السنة قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»(١)

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟»

قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»(٢)

وكذلك صلة الأرحام، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٣)

---

(١) رواه عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الترمذي (١٨٩٩) وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

(٣) رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).

وبرّ الوالدين وصلة الأرحام سبب لثبات القلب؛ لأن دعاء الوالدين حصن حصين، وصلة الأرحام تقوي الروابط الإيمانية، وتبعد الشيطان الذي يفرح بالقطيعة. وهي دليل على شكر النعمة واعتراف بالفضل، ووسيلة لتربية القلب على الخشوع والخضوع لله.

فالذي يبر والديه يكون أقرب لبركة دعائهما، وأرجى لثبات قدمه عند الفتن، وأحرى بحسن الخاتمة، وأبعد عن سخط الله وعقوبته.

ومن أعظم ما يُستجلب به الثبات أن يقول العبد في سجوده: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدَيَّ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»، فإن الله وعد بإجابة الدعاء، وما برّ أحد والديه إلا وجد أثر ذلك نورًا في قلبه وثباتًا في طريقه.

(٢٦) المحافظة على الصلاة في أوقاتها:

الصلاة عمود الدين، وهي الفارق بين المسلم والكافر، وهي أعظم ما يعين على الثبات، لأنها صلة مباشرة بين العبد وربه، فمن حافظ عليها ثبّته الله، ومن ضيّعها كان من الأخسرين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فهي زاجرة عن المعاصي، حافظة للإيمان، موجبة للخشوع والطمأنينة، وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤]. أي حافظ عليها لتذكر الله فلا تنساه، فتثبت قدمك عند مواطن الفتن.

وفي السنة قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»(١)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(٢)

---

(١) رواه معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦١٦).

(٢) عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٢١) والنسائي (٤٦٣).

فالصلاة تقوي اليقين بالله، وتزيد الإيمان، وتغرس في القلب الصبر على الطاعات، وتعين على مجاهدة النفس، وتربي على الانضباط في مواقيت الطاعة، فمن حافظ عليها بخشوع وخضوع، عاش ثابتًا على طاعة الله، لا تزعزعه الفتن، ولا تصرفه الشهوات.

ومن كان في ضيق أو فتنة، كان أول ما يفزع إليه الصلاة، كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ»(١)

فالمحافظة على الصلاة علامة إيمان، وتركها علامة خذلان. وهي من أعظم أسباب الثبات؛ لأنها تغذي القلب بالإيمان خمس مرات في اليوم، وتقيه غوائل الشيطان، وتجعله دائم الصلة بالله تعالى.

٢٧ المحافظة على الفرائض عموما

الفرائض هي أوامر الله التي افترضها على عباده من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها، وهي أساس الدين، وأعظم ما يورث الثبات على الحق؛ لأنها أحب ما يتقرّب به العبد إلى ربه، ومن ضيّعها ضيّع اللهُ عليه أمره، وسُلِبَ التوفيق.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠]. وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: ٥٦].

وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»(٢) فهذا يدل على أن الفرائض هي أحب ما يقرّب إلى الله، وهي أعظم

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٠٨).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسباب نيل معيته وتوفيقه.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُتِبْنَ هُنَّ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحُقُوقِهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(١)

وكذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ»(٢) فهذه الفرائض هي عماد الإسلام، ومن حافظ عليها ثبته الله عند الفتن.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يكتب إلى عماله: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ حَفِظَهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيعُ».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهُ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ».

فالمحافظة على الفرائض كلها - من صلاة وزكاة وصيام وحج - تُدخل العبد في دائرة معية الله، وتجعله قريبًا من رحمته ونصره، وتحفظ عليه دينه وإيمانه، وتزيده صلابة وثباتًا في مواجهة الفتن والشهوات.

أما من تهاون بها، فإنه عرّض نفسه للخذلان، فالفرائض هي أعظم أسباب الثبات، وهي الحدّ الفاصل بين الإيمان والنفاق، فمن أدّاها بحقّها كان له عند الله عهد بالحفظ والتثبيت.

(٢٨) الصيام

الصيام مدرسة عظيمة للتقوى، يربي النفس على الصبر، ويكبح جماح الشهوات، ويغلق

(١) رواه مالك وأبو داود والنسائي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا متفق عليه البخاري (٨)، مسلم (١٦).

أبواب الفتن التي قد تضعف الثبات. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]. فالتقوى هي ثمرة الصيام، والتقوى هي أعظم أسباب الثبات.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»[(١)] أي وقاية وحصن يحمي صاحبه من الشهوات والنار.

وفي الحديث الآخر: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[(٢)] وهذا من أعظم ما يثبت القلب عند لقاء الله.

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إِذَا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى القِيَامِ بِاللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُحْرُومُونَ».

فالصيام يُعوّد العبد على ضبط النفس، ويهذّب سلوكه، ويجعله قوي الإرادة، ثابتًا عند الفتن، متصلًا بالله في سره وعلانيته.

٢٩ التوكل على الله

التوكل هو اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، وهو من أعظم أبواب الثبات.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وفي الحديث: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١)

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا إِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكُمْ».

فمن رسخ التوكل في قلبه، ثبته الله، وجعل له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا.

والتوكل هو سر قوة الأنبياء، كما قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [يونس: ٨٤].

٣٠ القراءة في كتب السيرة وقصص الأنبياء

إن التأمل في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته، والاطلاع على قصص الأنبياء، يورث القلب قوة وثباتًا؛ لأن فيها من الابتلاءات والنهايات المشرقة ما يبعث العزيمة. قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وكان الصحابة يتعلمون سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما يتعلمون القرآن.

قال علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ».

ومن قرأ قصص الأنبياء أيقن أن طريق الدعوة مليء بالابتلاء، لكنه ينتهي بالنصر والثبات، كما في قصة يوسف وموسى ونوح وإبراهيم عليهم السلام.

وفي الحديث: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»(٢)

وهذا المعنى يترسخ عند قراءة السيرة، فيقوى الثبات على الحق.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم عن صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣١) ملازمة مجالس الذكر

مجالس الذكر هي رياض الجنة في الدنيا، وهي من أعظم ما يقوي الإيمان ويورث الثبات. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا».

قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِي مَنْ عِنْدَهُ»[(٢)]

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، وَجَلَاؤُهَا ذِكْرُ اللهِ».

فملازمة مجالس الذكر تورث حياة القلب، وتزيد الإيمان، وتشدّ عُرى الثبات في وجه الفتن.

---

(١) رواه الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم.

خاتمة الكتاب



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــالحات، وبفضـــله تكتمل الطاعات، وبهدايته يثبت المؤمنون على الحق في زمن الفتن والابتلاءات. لقد تبيَّن لنا من خلال اســتعراض هذه الخنادق وأســباب الثبات والنجاة من الفتن فالعدو لا يزال يحيك المؤامرات، ويجتهد في تمزيق الأمة وإغراقها في غفلة أو شـــبهة أو شـــهوة، لكن وعد الله لعباده الصـــالحين باقٍ لا يتبدل، وهو قوله سبحانه:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ [النور: ٥٥].

والخلاصة:

فالســبيل إلى النجاة من هذه الخنادق هو العمل بأسـباب الثبات وأعظمها على الإطلاق الثبات على التوحيد، والاعتصـام بالكتاب والسـنة، والرجوع إلى فهم السـلف الصالح، مع تجديد الصـــلة بالله بالعلم النافع والعمل الصـــالح والدعاء المســـتمر. وقد قال جل وعلا:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأوصى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمته بالتمسك بالوحي عند الفتن فقال: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**» فهذا هو حبل النجاة ودرع الحماية من كل خندق.

فالخاتمة إذن هي دعوة صـــادقة للأمة أن ترجع إلى ربها، وتســـتمســـك بحبله المتين،

وتتيقن أن معركة العقيدة مستمرة، وأن العاقبة للمتقين. قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده المؤمنين، وأن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.



جدول المحتويات

صدر حديثًا للمؤلف

